الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

قسم التاريخ

# الأوضاع الإجتماعية و الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني من خلال كتب الرحالة

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر

إعداد الطالبة:

سمية والي

لجنة المناقشة

| الاسم واللقب | الرتبة | الصفة |
|---|---|---|
| بيرم كمال | أستاذ محاضر أ | رئيسا |
| محمد يعيش | أستاذ محاضر أ | مشرفا |
| بوكسيبة محمود | أستاذ محاضر ب | مناقشا |

السنة الجامعية 1436-1437هـ/2015- 2016م

# شكر وتقدير

*أشكر الله سبحانه الذي من عليا بفضله التوفيق لإكمال هذا العمل المتواضع فالحمد لله والشكر كثيرا .

*إلى أستاذي الكريم" يعيش محمد " الذي بصّرني بنور بصيرته ، وصفاء فؤاده ووجّهني توجيه الأب لإبنته والأستاذ لطلبته، فلم يبخل عليا يوما بنصائحه وتوجيهاته وكتبه، وتواصل معي بطيب خاطر ، رغم كثرة التزاماته ومسؤولياته.

*كما لا يفوتني أن أشكر الأستاذة بوعزيز جهيدة التي أفادتني بمصادر حول الموضوع والتوجيهات القيمة ، فلها كل الشكر .

*الى صديق الأب والعم الحنون الأستاذ عبد المنعم بن عويرة الذي لم يبخل عليا بمد يد العون ببعض المراجع وله جزير الشكر.

*وأشكر العم المهدي والي على الوقوف الى جانبي طوال المشوار الجامعي متمنية له دوام الصحة والعافية .

*والشكر الجزير الى كل من علمني حرفا ،الى معلمي وأساتذتي من الإبتدائي الى الجامعي .

*وأخيرا الشكر الى كل أساتذة قسم التاريخ بجامعة محمد بوضياف وعمال المكتبة .

*كما أتقدم بخالص تشكراتي لكل من ساهم من قريب أو ومن بعيد في إتمام هذا العمل المتواضع .

وشكرا

# إهـــــــداء

*الى من أحمل إسمه بكل إفتخار ،الى من كلله الله بالهيبة والوقار ،الى من علمني العطاء بدون إنتظار ،أرجوا من الله أن يمد في عمرك لترى ثمار قد حان قطافها بعد طول إنتظار ، وستبقى كلماتك نجوم نهتدي بها اليوم وفي الغد والى الأبد والدي العزيز " لحسن" .

*الى ملاكي في الحياة ،الى معنى الحب والحنان ،الى بسمة الحياة وسر الوجود الى من كان دعائها سر نجاحي ، وحنانها بلسم جراحي ،الى أغلى الحبايب أمي الحبيبة "رشيدة ".

*الى من هم أقرب إلي من روحي ،أسود البيت إخوتي :سليم •الحاج•عبد المنعم •عماد الدين •إسحاق .

*الى من كان لي نعم السند ، زوجي وعائلته الكريمة .

*الى زوجات إخوتي ، وإلى شمعات البيت وبراعم الياسمين : يونس تقي الدين ، ولينة .

*إلى توأما روحي ، ورفيقتا دربي، صاحبتا القلب الطيب ، والنوايا الصادقة الى من رافقاني منذ أن حملنا مشقة الدراسة خطوة بخطوة ومازالتا ترافقاني صديقتاي فاطمة وإيمان .

*إلى من أحبهم في هذه الدنيا أهدي عملي هذا.

**سمية والي**

# مقدمة

تعتبر الرحلة من الفنون التراثية المتجذرة في الأدب العربي، وتكمن أهميتها في كونها وسيلة من وسائل التواصل مع الآخر، إذ من خلالها يحصل الاتصال بين الأمم وتبادل واكتساب المعارف فيما بينها، خصوصا فيما يتعلق بأحوال الأمم وطبائعهم .

والمعروف أن فترة الوجود العثماني في الجزائر من أهم فترات التاريخ الوطني، ونظرا لما تكتسيه هذه الفترة من غموض في جميع الجوانب بالأخص الجانب الاجتماعي والثقافي سعى معظم الرحالة الذين جعلوا من الجزائر محطة انطلاقهم أو جسر عبور إلى مقصدهم، إلى عرض صورة واضحة عن ذلك، ونذكر من أهم تلك الرحلات الرحلة الورثيلانية، العياشية، ورحلة ابن حمادوش، وابو راس الناصري وغيرهم .

ومن هذا المنطلق وبرغبة ذاتية ارتأيت كشف البيئة الجزائرية في صورتها الاجتماعية والثقافية في العهد العثماني، وذلك من خلال العنوان التالي :"الأوضاع الاجتماعية والثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني من خلال كتب الرحالة " رغبة مني في الاطلاع على ما جاء في الرحلات من أخبار ومعلومات، خاصة وأن هذا النوع من الكتابات الأدبية تحمل في طياتها طرائف وأخبار مشوقة تجذب القارئ إليها، ورغبة علمية دافعة إلى التعرف على الرحالة الذين ساهموا في التعريف بالواقع الاجتماعي والثقافي المعاش في تلك الفترة .

وعلى هذا الأساس فإن هذه الدراسة المتواضعة ستحاول الإجابة عن مجموعة من الأسئلة المتعلقة بالموضوع، فقد جاءت دراستنا هذه متمحورة حول إشكالية هي :

كيف صور الرحالة الحياة الاجتماعية والثقافية في الجزائر خلال الفترة العثمانية؟ ولقد إندرجت عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية نوجزها فيما يلي:

كيف كان الوضع الاجتماعي والثقافي في الجزائر قبيل الوجود العثماني؟ وهو سؤال محوري تستند إليه الدراسة .

ما المقصود بالرحلة؟ وما هي دوافعها خلال العهد العثماني؟

ما طبيعة التركيبة الإجتماعية للسكان؟ وكيف صور الرحالة الوضع المعاش آنذاك؟

كيف كان الوضع الصحي للسكان؟ وهل كان يعنى بإهتمام الحكام العثمانيين؟

ماهي أهم المؤسسات الثقافية؟ وكيف كان وضعها في نظر الرحالة؟

ما مدى تأثير الزوايا والطرق الصوفية على الإنتاج العلمي في تلك الفترة؟

وقد اقتضت مني طبيعة الموضوع أن أستخدم مناهج للبحث حيث استعملت المنهج التاريخي، لأن البحث في الأساس هو بحث تاريخي، يحدد فيه الإطار الزماني والمكاني واستعملت كذلك المنهج الوصفي وذلك لغرض وصف ملاحظات الرحالة حول مختلف الجوانب الاجتماعية والثقافية، بالإضافة الى تراجم العلماء وتحليل بعض الملاحظات، كما اعتمدت على بعض المقارنات بين ما كان قبل الوجود العثماني وبعده، ووظفت المنهج الإحصائي لإحصاء أعداد الضحايا الناجمة عن الأمراض والأوبئة.

وفيما يخص الخطة فستتوزع على فصل تمهيدي وفصلين رئيسيين:

في الفصل التمهيدي اقتضت مني طبيعة الموضوع أن أعرف بالرحلة ودوافعها خلال العهد العثماني اما في العنصر الثاني أعطيت فكرة موجزة عن الوضع الاجتماعي والثقافي في الجزائر قبيل العهد العثماني.

أما الفصل الأول فقد جاء بعنوان: الحياة الإجتماعية في الجزائر العثمانية على ضوء كتب الرحالة حاولت تسليط الضوء على طبيعة التركيبة الإجتماعية ومدى تأثيرها على توزيع السكان وعاداتهم وتقاليدهم من أعياد ووضعهم الصحي .

أما الفصل الثاني فعنونته بـ : الحياة الثقافية في الجزائر العثمانية على ضوء كتب الرحالة وتطرقت فيه إلى وضع المؤسسات الثقافية وأهم العلوم المنتشرة فيها وسعيت إلى إبراز أهم علماء العصر الذين كانت لهم لقاءات مع الرحالة، وفي الأخير تطرقت إلى الزوايا والحضور الصوفي، وأخيرا خاتمة والملاحق وقائمة المصادر والمراجع .

وتعتبر الرحلات من المصادر الأولية المعتمدة في انجاز هذا العمل، حيث كانت لي بمثابة الدليل، منها : رحلة الورثيلاني الموسومة بـ "الرحلة الورثيلانية "، ورحلة العياشي، ورحلة الأغواطي، وكذا رحلة ابن حمادوش " لسان المقال " بالإضافة الى بعض المصادر الأجنبية مثل وليام شالر، وسيمون بفايفر...، أما بالنسبة للمراجع إعتمدت على البعض منها خاصة التي تمس الجانبين الإجتماعي والثقافي لزمكانية الموضوع ونذكر من بينها : " تاريخ الجزائر الثقافي بجزئيه " "وأبحاث وآراء بجزئيه " الدكتور أبو القاسم سعد الله، و"تاريخ الجزائر في العهد العثماني " و"ورقات جزائرية " لدكتور نصر الدين سعيدوني الذي خدمنا في الفصل الأول، وأحمد مريوش، وغيرهم من المراجع .... .

وككل بحث واجهتني بعض الصعوبات منها تشتت المادة العلمية فلا نجد في كتب الرحالة أفكارا أساسية عن الموضوع مما تطلب مني جهد كبير، وعدم القدرة على إقتناء الرحلات التي حققت حديثا، بالإضافة الى ضيق الوقت والمساحة الكافية للتوسع في الموضوع قدر الإلمام .

# الفصل التمهيدي

## لمحة عن الوضع الإجتماعي و الثقافي في الجزائر قبيل الوجود العثماني

1- ماهية الرحلة ودوافعها خلال العهد العثماني .

2- الوضع الاجتماعي والثقافي .

## 1- ماهية الرحلة ودوافعها في العهد العثماني

### تعريف الرحلة:

**أ- لغة**: لقد حظيت مادة رحل بشرح وافي في العديد من المعاجم العربية، فقد جاء في لسان العرب :" الترحيل بمعنى الإشخاص والإزعاج، يقال رحل الرجل إذا سار، و أرحلته أنا ، ورجل رحول وقوم رحل : أي يرتحلون كثيرا " [1].

ومن معاني الرحلة التي وردت كذلك في لسان العرب الوجهة أو المقصد:" والرحلة بالضم، الوجه الذي تأخذه وتريده..." [2]، والإرتحال الوجه الذي نقصده، السفرة الواحدة[3]، وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى :" رحلة الشتاء والصيف "[4] .

**ب- إصطلاحا**: لقد عرفها الإمام الغزالي:" بأنها نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة "[5] أما بطرس البستاني فيعرفها بأنها: " إنتقال واحد أو جماعة من مكان إلى مكان آخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة " [6]، وأياما كان الغرض من الرحلة فإنها في أغلب الأحيان سلوك إنساني حضاري يؤتي ثماره النافعة على الفرد وعلى الجماعة .

فليس الشخص بعد الرحلة هو نفسه، وليست الجماعة قبل الرحلة هي ما كانت عليه قبلها [7].

---

[1] ابن المنظور ، لسان العرب ،ج18، مج3، ترجمة : عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف ،القاهرة ،[د،ت]، ص1608.

[2] نفسه ص1609.

[3] نفسه .

[4] سورة قريش، الآية 2.

[5] ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري، دار النشر للجامعات المصرية، مصر، 1995، ص24.

[6] بطرس البستاني، محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت – لبنان، 1990، ص226.

[7] فؤاد قنديل، أدب الرحلة، في التراث العربي، ج2، ط2، مكتبة الدار العربية للكتاب، مصر، 2002، ص21.

من خلال تحديدنا مفهوم الرحلة في اللغة و الإصطلاح تبين لنا أن المفهومان لا يبتعدان كثيرا فهما يشتركان في معنى واحد وهو الحركة ، فكما يقول ياقوت الحموي :" الحركة من دلائل الحياة والسكون من دلائل الموت، وإن تتحرك حركة ضعيفة يؤمل أن تقوى أحب من أن تسكن " [1].

## دوافعها في العهد العثماني

لقد أسهم الجزائريون مساهمة واضحة في كتابة الرحلات [2]، ورغم أن الكثير من رحلاتهم ضاعت وأخرى لم تصلها أيادي الدارسين بعد، والأكيد أن الدوافع التي تدفع الرحالة لشد الرحال أو مغادرة المكان، ليست واحدة وهي كثيرة ومتنوعة نذكر أهمها :

**أ-الدافع الديني** :إن الدافع الديني من أبرز الدوافع التي حفزت الجزائريين والمغاربة الى القيام بالعديد من الرحلات، تلك التي كان هدفهم منها أداء فريضة الحج، وبما أن الحياة الصوفية سيطرت على الحياة في العهد العثماني في الجزائر، فإن التصوف كان في بعض الأحيان من الدوافع التي دفعت بعض الجزائريين من المريدين والأتباع للإرتحال بنية البحث عن شيخ يتبركون به، وينتفعون بدعواته [3].

---

[1] ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت- لبنان،[د- ت]، ص420 .

[2] أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي[1500- 1830] ج2 ، ط2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان ،2005، ص395.

[3] الطاهر حسني ، الرحلة الجزائرية في العهد العثماني ،أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في الأدب العربي ،جامعة ورقلة ،الجزائر ،2014، ص83 .

ومن أمثلة ذلك، رحلة الورثيلاني[1]، الموسومة ب : نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار .

**ب- الدافع العلمي** : إن الإسلام مجد العلماء ، ورفع من شأنهم وقدس مكانتهم وإعتبرهم أقرب الناس للأنبياء حتى أنهم أصبحوا ورثتهم [2]، كما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : " إن العلماء ورثة الأنبياء وأن الأنبياء لم يرثوا دينارا ولا درهما ،إنما ورثو العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر" [3]، ولقد برزت الرحلة لطلب العلم بشكل واضح عند الجزائريين والمغاربة عموما وتلك حقيقة ثابتة أقرها العديد من الدارسين المهتمين بالتاريخ لأدب الرحلات، عن حسين نصار يرى كراتشكوفسكي أن طابع الرحلة في طلب العلم طغى على ما عداه من أنواع الرحلات في المغرب منذ القرن السابع الهجري [4].

ومن دوافع الرحلة العلمية الإستزادة من العلم والتعلم ولقاء العلماء والإطلاع على الكتب[5].

وبالرغم من الجهل الذي سيطر على الحياة في العهد العثماني، فنجد العديد من الرحالة الذين امتلكوا شغف حب المطالعة والترحال .

---

[1] الحسين الورثيلاني :هو الإمام العالم العلامة ،إمام المحقين والمريدين، وهو الولي الصالح والعالم الرباني ، سيدي الحسين بن محمد السعيد الشريف الورثيلاني، ولد ببني ورثلان ، عام[ 1125هـ/1712م] ، وهو من علماء المنطقة البارزين ، صاحب الرحلة المذكورة سابقا، توفي عام1193 هـ[1779-1780م] بمسقط رأسه ، ودفن في مقبرتها، وما يزال قبره قائما يزوره الناس بإستمرار ويتبركون به، للمزيد أنظر : أبو القاسم محمد الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف ،ج2، دار موفم للنشر، الجزائر 1991،ص133؛ يحي بوعزيز ، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ،ج1 ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1995، ص47.

[2] الطاهر حسني، نفس المرجع السابق، ص85.

[3] محي الدين أبو زكريا بن شرف الدين النووي ، رياض الصالحين ، تحقيق: أحمد أبوا زينة ،المكتبة العصرية ، بيروت- لبنان،[د- ت]، ص396.

[4] حسين نصار، أدب الرحلة ،ط1، مكتبة لبنان ،الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ،[د- م] ،1991، ص34.

[5] ليلى غويتي، التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ،جامعة الجزائر2،2011، ص27.

ومن أمثلة ذلك : رحلة عبد الرزاق ابن حمادوش[1] وابو راس الناصري[2].

ج- **الدافع الجهادي والسياسي:** لقد كانت الأوضاع التي تعيشها الجزائر في العهد العثماني من العوامل التي حتمت على البعض للقيام برحلات من نوع خاص، نعني بها تلك الرحلات الرسمية التي قام بها بعض الحكام بدوافع مختلفة ، تأديبية تارة ، وجهادية تارة أخرى، ويعتبر محمد الكبير باي الغرب الجزائري [3]، من أشهر الشخصيات التي اهتم بها الجزائريون وكتبوا عنها وتتبعوا حركاتها وهو صاحب الرحلة المسماة ب : " رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري "، التي قام بها، ودون أحداثها ابن هطال التلمساني، أما الدافع فكان تأديب القبائل المارقة التي لم تخضع للسلطة العثمانية أو تمردت عليها [4].

---

[1] هو عبد الرزاق بن محمد المعروف بابن حمادوش، ولد في مدينة الجزائر سنة[ 1107هـ/ 1695م ]، توفي في مكان وتاريخين مجهولين ،حاول الجمع بين العلم والتجارة ،إلا أنه لم يفلح ولقد كان مولعا بالكتب ولا يفارقها ، صاحب رحلة " لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال " للمزيد أنظر : أبو القاسم سعد الله ، الطبيب الرحالة ابن حمادوش ، حياته وأثاره ، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان ،2005، ص-ص 20- 23.

[2] هو أبو راس محمد بن أحمد بن الناصر، ولد بنواحي المدية و معسكر [1150هـ/ 1737 م]، عاش طفولته فقيرا، درس في الجزائر على يد كثير من رجال العلم ، ألف في أدب الرحلة مؤلفات عدة منها : " رحلتي ونحلتي في تعداد رحلتي "وألف " فتح الإله ومنته في التحدث في فضل ربي ونعمته " للمزيد أنظر : محمد أبو راس الناصري ، فتح الإله ومنته في التحدث في فضل ربي ونعمته ، تحقيق : محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،[د.ت] ، ص18.

[3] محمد الكبير : هو محمد بن عثمان الكردي، الملقب عادة بالكبير، وينتمي إلى أسرة كردية ، ونظرا لإخلاصه لعمله، وولائه ، كان يحظى بمكانة راقية وإحترام كبير عند الأتراك ، الذين وثقوا فيه ، وفضلوه على غيره ، وبمجرد جلوسه على كرسي الحكم وتعيينه بايا ، شرع في إصلاح شؤون الرعية ، والسهر على مصالح العباد، وتنظيم البلاد ، فراح ينشر الأمن ، ويؤلف بين قلوب الناس ، وبادر بإخضاع القبائل المتمردة على الحكم التركي ، توفي بمدينة معسكر ودفن بها سنة (1170هـ) بعدما مكث في الحكم تسعة أعوام ، أنظر : أحمد بن هطال التلمساني ، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري ، ط1 ، تحقيق : محمد بن عبد الكريم ، عالم الكتب ،القاهرة ، 1969، ص-ص 15-17.

[4] طاهر حسني، المرجع السابق، ص91.

## 2-الوضع الاجتماعي والثقافي

### أ-الوضع الاجتماعي:

إمتاز القرن الخامس عشر بالفوضى السياسية، وإضطراب في الحياة الاجتماعية، ولقد ساهمت في تلك الإضطرابات عدة عوامل نذكر منها، ضعف الملوك والتطاحن العائلي في الأسر الحاكمة من أجل الفوز بالحكم[1]، كما كان الأبناء يحاربون بعضهم بعضا لإقتسام ملك أبيهم .

وكان لضعف دولة بني زيان تأثير سيء على أوضاع المغرب الأوسط ، فقد انقسمت على نفسها إلى إمارات صغيرة، متفككة، متناحرة، مثل: إمارة جبل كوكو بالقبائل ،وإمارة بني حفص بقسنطينة، وبني جلاب بتوقرت وواد ريغ، وإمارة الثعالبة بجزائر بني مزغنة [2]، وكان المجتمع في العهد الزياني مقسم كغيره من المجتمعات إلى طبقات، ويتشكل من طبقة الحكام والمسؤولين الكبار في الدولة، ورجال الدين وأفراد الجيش والمثقفين وأصحاب الحرف والتجار، وأخيرا طبقة الفلاحين التي تشكل النسبة الكبيرة في المجتمع الزياني[3] .

لعب المسجد دورا كبيرا في الحياة الإجتماعية، فبالإضافة إلى العبادة كان مكانا للعلم ومجلسا للقضاء تحل فيه النزاعات، وكان الزيانيون يحترمون الأولياء الصالحين ويهتمون كثيرا بالأعياد الدينية وخاصة بالمولد النبوي الذي تقام من أجله حفلات كبيرة يشارك فيها الأمراء وعامة الشعب [4].

---

[1] كاميلية دغموش، قبائل الجزائر بين الإحتلال الإسباني والسلطة العثمانية [1509- 1792]، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ،جامعة وهران ،2014، ص23 .

[2] يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر-جزائر حديثة - ج2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 1965، ص ص254 - 255.

[3] عمار عمورة ، الجزائر بوابة التاريخ - الجزائر عامة - ج1، دار المعرفة ، الجزائر ، 2009 ، ص206 .

[4] نفسه .

**ب- الوضع الثقافي :** شهد المغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة من القرن السابع الى القرن التاسع الهجريين الثالث عشر الى الخامس عشر الميلاديين، أي خلال فترة الحكم الزياني نشاطا ثقافيا ملحوظ ميزه إهتمام السلاطين بالعلم والعلماء، كما إزدهرت حركة إنشاء المؤسسات التعليمية تبعا لذلك من مساجد ومدارس في مختلف المدن الزيانية، ولقد كان ملوك وأمراء بني زيان على قدر وافر من العناية بمختلف جوانب النشاط الثقافي في دولتهم، وكان أول ملوكهم يغمراسن بن زيان يؤثر الصالحين والعلماء ويجالسهم[1]، بحيث اعتنوا بالمنشآت الثقافية والمعمارية مما جعل من تلمسان عاصمة ثقافية ومركز إشعاع ثقافي ببلاد المغرب الإسلامي، وكانت تضاهي حواضر المغرب والأندلس، ونظرا لتلك المكانة قصدها العلماء والطلبة وأصحاب الحرف والصناع خاصة من الأندلس[2] .

تميزت الحياة الثقافية في العهد الزياني بإنتشار المساجد و لعبت الدور في ترسيخ العقيدة الإسلامية إضافة إلى دورها التعليمي، حيث لم تكن مجرد أماكن للعبادة بل كانت عبارة عن مؤسسات تعليمية تدرس بها أصناف العلوم خاصة الدينية [3]، بالإضافة إلى الكتاتيب، وكانت منتشرة بكثرة و مخصصة لتعليم الصبيان .

ويعد التعليم من العوامل المؤثرة في نمو الحياة الثقافية والحركة العلمية، وكان يتم في المؤسسات التعليمية التي أنشئت بتلمسان ومدن المغرب الأوسط، من كتاتيب ومساجد ومدارس وزوايا وكان يمر عبر مراحل تدريجية [4].

---

[1] عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1969، ص205.

[2] أحمد بن محمد المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ،ج6، تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، بيروت ،1998، ص174.

[3] عبد الرحمان بالأعرج ، العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط ، جامعة أبو بكر بلقايد ،سيدي بلعباس ، 2008/2007، ص30.

[4] نفسه .

تأثرت الحركة العلمية في الدولة الزيانية بالحياة الدينية تأثرا ملحوظا، كما اصطبغت الحياة الدينية والعلمية بالمغرب الأوسط بظاهرة التصوف، وظهر العديد من العلماء، اعتنوا بأصناف العلوم الدينية من تفسير وعلم القراءات والفقه وعلوم الحديث [1] .

[1] عبد الرحمان بالأعرج ، نفس المرجع السابق ، ص35.

# الفصل الأول

## الحياة الإجتماعية في الجزائر العثمانية على ضوء كتب الرحالة

1 - طبيعة التركيبة الإجتماعية.

2- الصفات و السلوكيات المنتشرة في المجتمع الجزائري.

3- الأعياد الدينية و الولائم.

4- الهياكل الصحية و الوضع الصحي.

**1- طبيعة التركيبة الإجتماعية للسكان:** إن المجتمع الجزائري في العهد العثماني كان متباين الأصول [1]، إذ كان يتشكل من الأتراك والجزائريين، والكراغلة ، والأندلسيين والزنوج ، واليهود والأوربيين [2]، هذا ما جعل التنظيم العثماني يتخذ شكلا هرميا أخل بالتوازن من حيث المستوى المعيشي على أساس الثروة، مما أدى إلى ظهور الطبقية التي تحكمت فيها مختلف الظروف [3].

**أ-الأتراك العثمانيون:** يحتلون قمة الهرم الاجتماعي ، إذ بيدهم سلطة البلاد مثل البايات و الباشوات والأغوات وأعضاء الديوان [4]، وتعتبر الفئة الحاكمة للبلاد، بحيث يقول الورثيلاني عن الحاكم: " أعلم أن أشرف الولاية وأعظمها ولاية أمور المسلمين "[5] وتتشكل هذه الفئة في معظمها من الجنود الأتراك، وهي معروفة بإسم " الانكشارية " [6].

وتشير الباحثة جميلة معاشي أن هذه الفئة تضم عناصر أجنبية، وتخلو من العناصر المحلية [7]، وكان تواجد هذه الفئة في أغلب الأحيان مرتكزا في الحصون والثكنات فقد ذكر الورثيلاني تواجدهم في بسكرة حيث يقول: " بنى الترك حصنا على رأس العين التي تأتي الماء منها...فملكوا وأضروا بأهلها، وأجحفوا بهم في الخراج، ولم يقدروا على الخروج عليهم لتمكنهم من الماء الذي به حياة البلد وأهله "[8].

---

[1] عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر، نشأتها وتطورها، ط1، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص268.

[2] صالح فركوس ، المختصر في تاريخ الجزائر، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر ،[د- ت]، ص126.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص147.

[4] نفسه ،ص153.

[5] الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية - نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار -، ط1، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة - مصر،2008 ،ص797.

[6] محمد أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار،ج1، دراسة وتحقيق : محمد بوركبة ، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان - الجزائر، 2011، ص34.

[7] جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث ، جامعة منتوري ، قسنطينة - الجزائر ،2008، ص8.

[8] الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص117.

ويصف وليام شالر الأتراك بأنهم جديرون بالثقة في كلمتهم، ويتصفون بالأدب واللياقة، والإنسانية في معاملاتهم اليومية، ولكنهم حين يجدون أنفسهم في الحياة السياسية يكتشفون في أنفسهم وحشية نادرة "[1]، والملفت في رحلة الورثيلاني أن صورة الأتراك تجلت بصورة سلبية، فالتركي طاغ وظالم، بل جعله الورثيلاني سببا في إنتشار الفساد وعموم الجهل، وشيع الخراب ، ويؤكد ذلك على سبيل المثال عندما كان يتحدث عن زمورة التي :" إجتمع عليها أمران ظلم الأتراك وظلم الأعراب فكانت بينهما كالكرة " [2].

أما عن الحياة الاجتماعية لهذه الفئة فيذكر وليام شالر أنه نادرا ما تتاح لهم المصاهرة والزواج في البلد وهذا ما نتج عنه تحسن ملحوظ فيما يتعلق بالخصائص الجسمية والأخلاقية معا[3]، بالإضافة إلى الأعلاج ويشكلون غالبية طائفة رياس البحر،تشكلت هذه الطائفة بسبب القوة البحرية للإيالة، فهي المحرك الإقتصادي الأول وكانت السفن الجزائرية تضم طاقما معتبرا وعلى رأسها الرايس، وفي هذا الصدد يذكر الرحالة التمقروتي عن صفات الرياس بقوله :" وموسمها عامر بالسفن ورياسها موصوفون بالشجاعة وقوة الجأش ونفوذ البصيرة في البحر يقهرون النصارى في بلادهم فهم أفضل من رياس القسطنطينية بكثير وأعظم هيبة وأكثر رعبا في قلوب العدو "[4].

**ب- فئة الكراغلة:** إحتلت المرتبة الثانية، هم المولدون نتيجة التزاوج بين الجند الإنكشاري ورياس البحر بالنساء الجزائريات [5].

---

[1] وليام شالر ، مذكرات وليام شالر، قنصل أمريكا في الجزائر [1816- 1824]، تعريب وتقديم :إسماعيل العربي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،1982، ص54.

[2] الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص142 .

[3] وليام شالر ، المصدر السابق ، ص55 .

[4] علي بن محمد التمقروتي ،النفحة المسكية في السفارة التركية ، تقديم وتحقيق: عبد اللطيف الشاذلي ، المطبعة الملكية الرباط – المغرب ،2002 ، ص130.

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص149.

ويذكر الرحالة الورثيلاني هذه الفئة أثناء مروره بقاعدة الزاب "ببسكرة" في قوله :"...وباب ثالث يسكنه المولدون داخل مدينة بسكرة "[1]، والمولدون هم نفسهم الكراغلة، وقد تكاثرت هذه المجموعة في القرن الثامن عشر إلى التاسع عشر، بحوالي 4000 نسمة وفي الجزائر 20000 نسمة في كل البلاد في أواخر نهاية الحكم العثماني [2] .

**ج- فئة الحضر :** يحتلون المرتبة الثالثة في الهرم الاجتماعي ، وهم السكان الأوائل للمدينة وقد فرض عليهم الأتراك وضعية التبعية المطلقة فليس لأحد منهم حق حمل السلاح ، كما أن أملاكهم معرضة للمصادرة، لأقل خطأ يصدر منهم في حق الأتراك، وهم سكان المدينة الأصليين، وينظرون إليهم الأتراك نظرة يشوبها الإحتقار، وينعتونهم بأنهم مجموعة من العصاة الخارجون عن القانون، فلا يجندون أحد منهم في الحامية [3] إشتغل عناصر هذه الطبقة في المهن الصناعية والأعمال التجارية، وتولوا وظائف السلك القضائي والتعليمي [4]، ومن أهم العناصر المشكلة لهذه الفئة : الجالية الأندلسية، وطبقة الأشراف .

وفئة الأندلسيون كانت صلتهم وطيدة بالجزائريين، ولهم دراية واسعة بالبلاد الجزائرية[5]. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الفئة مذكورة فقط عند ابن حمادوش، فقد دون عقد قران لبعض الأندلسيين[6].

---

[1] الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص122.

[2] ناصر الدين سعيدوني ، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، دار السلطان – أواخر العهد العثماني ، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2012، ص228.

[3] ج.أو.هابنسترايت، رحلة العالم الألماني هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس [1145هـ/1732]، ترجمة وتقديم وتعليق : ناصر الدين سعيدوني ،دار الغرب الإسلامي ، تونس ،[د-ت]، ص-ص29-32.

[4] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص232.

[5] أبو راس الناصري، عجائب الأسفار، المصدر السابق، ص39.

[6] للمزيد أنظر :عبد الرزاق ابن حمادوش، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال ، تحقيق: أبو القاسم سعد الله المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1953 ،ص 246.

أما فئة الأشراف فهي فئة قليلة تنسب إلى آل البيت وهم أهل ورع وتقوى ، وقد حضوا بإحترام وتقدير كبيرين [1]، وإقتصر نشاطهم في المحافظة على إمتيازاتهم، إضافة إلى أنهم لم يؤثروا في نظام الحكم [2].

**د- فئةالبرانى :** تتألف من المجموعات السكانية التي هاجرت إلى المدن الكبرى كالجزائر وتلمسان ومعسكر وغيرها [3]، وإختصت كل مجموعة بعمل خاص بها، ونذكر منها :

**جماعة بني ميزاب**: تنسب إلى واد ميزاب في الجنوب الصحراوي المشهور بواحاته الستة[4]،ويختلفون مذهبيا عن العرب بإتباعهم المذهب الإباضي[5]، وبلهجتهم البربرية الخاصة ،كما يتميزون بالتآزر الاجتماعي[6]، من خلال تقديم يد العون للمعوزين وذوي الحاجات .

**جماعة البساكرة**: تتكون من أهالي الزيبان ووادي ريغ وواد سوف وتوقرت[7].

**جماعة الأغواطيون** : ينتمون إلى الجنوب الصحراوي إلى مدينة الأغواط[8]، ويرجعون إلى العناصر النازحة من الجنوب وهم فئة قليلة العدد والأهمية [9].

---

[1] أبو راس الناصري، عجائب الأسفار، المصدر السابق، ص40.

[2] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص268.

[3] أبو راس الناصري، عجائب الأسفار، المصدر السابق، ص40.

[4] ابن الدين الأغواطي ، رحلة الأغواطي ابن الدين في شمال إفريقيا والسودان ودرعية ،ترجمة وتحقيق :أبو القاسم سعد الله ، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ،الجزائر،2011، ص90 .

[5] عبد الله بن محمد أبو سالم العياشي ، الرحلة العياشية [ 1661-1663 ]، ط1، تحقيق وتقديم : سعيد الفاضلي وسليمان القرشي ، أبو ظبي – الإمارات ،2006 ، ص119.

[6] ناصر الدين سعيدوني ،المرجع السابق ، ص236.

[7] ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي ،الجزائر في التاريخ –العهد العثماني ،ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ،1984،ص100.

[8] ابن الدين الأغواطي ، المصدر السابق ، ص 87.

[9] ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني[1792-1830]، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،1985، ص45.

**جماعة الزنوج:** تتألف هذه الجماعة من العبيد السود، الذين إستقدموا من بلاد السودان عن طريق الواحات الصحراوية [1]، ويشتغل أغلبهم في المنازل وأعمال البناء والنسيج...الخ.

**جماعة القبائل**: يعود أصلهم إلى المناطق الجبلية القريبة من مدينة الجزائر لغرض العمل ومعظمهم من جرجرة [2]، وأغلب القبائل من مدينة الجزائر كانوا من قبائل زواوة.

**هـ-الجالية اليهودية**: تشكل العنصر المهم بين الدخلاء ،فقد ذكر ابن الدين الأغواطي المجاهرية وهي طائفة من اليهود إعتنقت الإسلام، وهم لا يتزاوجون مع العرب[3]، ويقطنون حيا خاصا في البلدة وكانوا في القديم يهودا، ولكنهم إعتنقوا الإسلام فرارا من الموت الذي هددهم به السكان [4]، ولا شك أن النفوذ الإقتصادي لهذه الفئة جعل منها فئة هامة لدى الحكام الأتراك [5].

**و- فئة المسيحيين**: عرفوا بالدخلاء أي العناصر الأجنبية عن المجتمع الجزائري ،كما أن هذه الفئة تضم التجار الأجانب والقناصل ورجال البعثات الدينية والتبشيرية[6]، وكذا جماعات الأسرى المسيحيين، الذين ظهروا بسبب الحروب التي كانت موجودة مابين إيالة الجزائر، ومماليك أوروبا [7]، وبسبب القرصنة الأوربية على السفن الجزائرية والعكس [8].

---

[1] نصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي ،المرجع السابق ،ص101.

[2] صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي [1514-1830]، ط1، دار هومة للنشر والتوزيع ،الجزائر،2007 ، ص359.

[3] ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق ،ص100.

[4] نفسه .

[5] للمزيد أنظر :عبد الرزاق ابن حمادوش ،المصدر السابق ، ص253.

[6] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص150.

[7] ابن زاكور الفاسي، نشر أزاهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتيطوان ، تحقيق : مصطفى ضيف محفوظ بوكراع ، تلمسان – الجزائر ،2011، ص74.

[8] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص292.

أما عن الحياة الاجتماعية للأسرى المسيحيين، وبشهادة الأسرى أنفسهم يعترفون بالتعايش بين المسلمين والمسيحيين واليهود في الإيالة .

## 2-الصفات والسلوكيات المنتشرة في المجتمع الجزائري

لقد تميز المجتمع الجزائري بصفات ومميزات ميزته عن غيره من المجتمعات زادت من تماسك المجتمع وتآزره، كالكرم وحسن الضيافة، والتواصل فيها بينهم في مختلف المرافق، وغيرها من الصفات الحسنة، إلا أن هذا لم يمنع من وجود سلبيات خلقت نوعا من الإضطراب والتفكك في المجتمع، كالسرقة والإقتتال وإنتشار الآفات الاجتماعية السيئة.

أ- **مظاهر تماسك المجتمع:** من المظاهر الحسنة التي سادت أغلب سكان الجزائر خلال العهد العثماني والتي سعت من خلالها على تثبيت الروابط الأسرية والاجتماعية هي الكرم وحسن الضيافة، والتواصل بين الأفراد في مختلف المرافق الإجتماعية المتوفرة أنذالك وذلك للمحافظة على عادات وتقاليد الأجداد والأسلاف، فلقد وصف لنا الرحالة الورثيلاني الكرم الذي لاقاه في مختلف مدن الجزائر خلال العهد العثماني، وخاصة منطقة الجنوب فقد ذكر في إحدى صفحات رحلته، السمة الغالبة على أهل طولقة في قوله :"وقد دخلت طولقة وهم أهل الجود والفضل"[1]، كما أشار إلى ما ناله من كرم وحسن ضيافة وإحسان من قرية " تدلس"، حيث يقول:" أقمنا ثلاثة أيام فيها مع كرم عظيم وطيب ضيافة، وإحسان تام من أهلها..."[2]، وصف الرحالة التمقروتي بناء مدينة الجزائر والتعامل الذي حضي به من أهلها ، حيث يذكر ذلك في قوله :"وردنا مدينة الجزائر فرأيت محيا صبيحا وترتيبا مليحا ومسجدا عتيقا وبناء أنيقا وأناسا سلكوا إلى الحسن والإحسان طريقا..."[3].

---

[1] الورثيلاني، المصدر السابق ، ص117.

[2] نفسه.

[3] التمقروتي ، المصدر السابق، ص130.

على العموم فإن الكرم صفة متأصلة في سكان الجزائر حضرها وبدوها، هؤلاء الذين كانوا يكرمون الضيف أيما إكرام، حيث كانوا لا يأكلون الأغنام ولا الدواجن ولا يذبحون إلا عندما يؤمهم ضيف، ذلك أن قانون الضيافة مقدس عندهم [1].

ولقد وصف وليام شالر سكان الجزائر فقال :" وأنا قد وجدتهم في المعاملات اليومية دائما مهذبين ومتمدنين وإنسانيين، وأنا لم أكتشف فيهم حتى أعراض التعصب الديني، أو الكره للأشخاص الذين لا يدينون بدين أخر غير دينهم "[2].

وكان المجتمع الجزائري في تواصل دائم فيما بينهم وذلك في مختلف المرافق الاجتماعية كالمقاهي والحمامات والأسواق التي تسعى من خلالها على تثبيت الروابط الاجتماعية، فهي ملتقى جميع فئات المجتمع، وكانوا يتخذونها ملتقى لعقد جميع الصفقات التجارية بما في ذلك عقود الزواج [3]، خاصة الحمامات التي كانت إلى جانب إعتبارها مكان للتنظيف، كانت أيظا تعتبر مكان تناقش فيه الأعمال التجارية والأمور والحوادث العائلية خاصة أمور الزواج[4]، وقد كان يجري تخطيط الزواج وعقده بواسطة الأمهات والعلاقات النسوية التي تسعى بين الطرفين، والنساء الجزائريات يلتقين إما في الزيارات المتبادلة في المنازل أو في الحمامات العمومية التي يترددون عليها كثيرا، والتي تفتح أبوابها في فترة ما بعد الظهر للنساء فقط [5].

---

[1] حمدان خوجة ،المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق : محمد العربي الزبيري، منشوراتENEP، الجزائر ،2006، ص24.

[2] وليام شالر ،المصدر السابق، ص 80.

[3] سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ط1، دار هومة للطباعة و النشر، الجزائر، 1998، ص 126.

[4] محمد مكحلي ،" الأوضاع الإجتماعية والاقتصادية للجزائر خلال العهد العثماني [1707-1827] ، جامعة جيلالي اليابس ،سيدي بلعباس- الجزائر، [د- ت] :Httpm:www, algeriatoday, comformshowheard, php ?t ، ص 22.

[5] وليام شالر ،المصدر السابق، ص 87.

**ب- مظاهر التفكك الاجتماعي:** يسرد لنا الرحالة الورثيلاني مظاهر التفكك الاجتماعي وهي كثيرة ويخص بالذكر الجهل والظلم والتعدي على أملاك الآخرين والنزاعات بين الجماعات والقبائل، إضافة إلى ظهور البدع والخرافات المنتشرة هنا وهناك.

ويصف لنا حال وطنه أثناء توديعه جمع من الحجاج بوادي بجاية فيشير :" وبالجملة فوطننا طيب فيه العلم وبعض الكرم للغريب وفيه الزيتون والعنب والتين بكثرة والحرث ...غير أنه خال من السلطان وأحكامه فالوطن سائب ..."[1].

وفي هذا الصدد يذكر عرب النمامشة فهم أقبح الناس وأكثرهم شرا، فمنهم من يأتي للسرقة ومنهم من يأتي إلى الخطفة، ولا يحكم بعضهم في بعض، ومع ذلك أنهم لم يكونوا في حكم سلطان تونس ولا في حكم باي قسنطينة [2].

ويشير الرحالة الأغواطي لذلك فيذكر عن سكان وادي سوف بقوله :" لا يخضع سكان وادي سوف إلى حاكم وهم دائما ينظمون الفرق ويسلبون العرب من أملاكهم ويصلون بغزواتهم إلى أراضي الطوارق" [3]، إلا أن هذه الصفة كانت منتشرة في العديد من المناطق فكانوا يتعدون على قوافل الحج فيذكر ذلك الرحالة العياشي أثناء رحلته فيقول :" لقد سرنا على غاية من الوجل من عرب أولاد نصر ،لكثرة ما يخوفنا الناس منهم ...فارتحلنا وسرنا جد خائفين " [4].

فالسرقة إذن صفة ذميمة إنتشرت كثيرا في الجزائر خلال العهد العثماني ، فقد تحدث الورثيلاني عن قرية الزاب التي كانت قرية طيبة وأهلها صالحون فقال :" إلا أن أكثر أهلها فسقوا فيها بالسرقة والتعدي والمشي بالنميمة بين أكابيرهم" [5].

---

[1] الورثيلاني، المصدر السابق، ص ص43-44.

[2] نفسه ، ص138.

[3] الأغواطي ، المصدر السابق ، ص96.

[4] العياشي ، المصدر السابق، ص-ص542-544 .

[5] الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص114.

لقد كانت النزاعات سائدة بين الجماعات والقبائل بكثرة، ويظهر ذلك جليا من خلال رحلة الورثيلاني أثناء مروره بمنطقة زمورة ،هذه البلدة التي منى الله عليها بالرزق الوفير والمياه والمزارع الكثيرة ، إلا أن أهلها أهل تعد وظلم لبعضهم البعض، فقد قال :" فغالب أوقاتهم الفتنة بينهم والقتل لديهم "، ولم يكن هناك سبب لقتالهم بل إنما هو مجرد " تعصب وحمية جاهلية وأنفة شيطانية" [1]، ومن بين السلوكيات الغير الأخلاقية التي ظهرت في المجتمع الجزائري وأدت إلى تفككه هي إنتشار الزنا في أوساط المجتمع، وتبرج النساء في الشوارع فلقد كان حديث الورثيلاني عن المرأة المتبرجة، والإختلاط الغير المشروع بين الرجال والنساء الغرباء في كثير من محطات رحلته ذهابا وإيابا .

ويصف نساء زمورة بأنهن:" باديات مكشوفات هداهم الله لحجبهن لأنه من أعظم الآفات"[2] ويقول أيضا: " وتجد النساء الطيبات المتبرجات كأنهم في ليلة الزفاف بهن في الأزقة والعيون مكشوفات العورات باديات المستحسن ..." [3].

كل هذه الظواهر أدت إلى إنتشار الزنا في أوساط المجتمع، وبالأخص في الطبقة الحاكمة، كما أن ابن حمادوش ذكر في إحدى عقود الزواج، عقد زواج عاهرة تابت توبة صادقة، وهذا دليل على وجود مثل هذه الأمور في فترة عيشه [4].

ومن بين المظاهر المنتشرة أيضا في المجتمع الجزائري هي الإكثار من زيارة القباب والأضرحة والبكاء على القبور والموتى، حيث نرى أن الورثيلاني يصف كيفية التقرب إلى الأضرحة، مشيرا إلى أنه من أتى زائرا لضريح أو ولي من الأولياء، أو صالح من الصلحاء، فيقف عند رجليه أو عند وجهه ويسأل الله تعالى بجاه الضريح أن يمن عليه

---

[1] الورثيلاني ، نفس المصدر السابق ، ص807.

[2] نفسه، ص109 .

[3] نفسه، ص808 .

[4] ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 251.

بقضاء حاجته الدنيوية والأخروية، فإنه يجاب لذلك بمنه وكرمه وجاههم وفضلهم[1] والجزائريون شعب يتعلق بالخرافات ويؤمن بأثر السحر[2] .

## 3- الأعياد الدينية والولائم

**أ-الأعياد الدينية:** لقد كانت الأعياد الدينية من المناسبات الحافلة عند سكان الجزائر ولقد كان الحكام يحرصون كل الحرص على إحياء هذه الأعياد، ولقد صور لنا العديد من الرحالة هذه المناسبات في رحلاتهم ، وسأحاول أن أصف العادات والتقاليد المتبعة للإحتفال بهذه المناسبات لدى المجتمع الجزائري في العهد العثماني .

**الإحتفال بالمولد النبوي الشريف** : كانت ليلة مولد المصطفى عليه الصلاة والسلام من أعظم الليالي التي يحتفل بها الشعب الجزائري، ويسعى إلى إحيائها، وذلك بإقامة الولائم وإشعال الشموع، ولقد ذكر ابن حمادوش مظهر من مظاهر الإحتفال بالمولد النبوي الشريف في فاس ومثله في الجزائر، حيث قال :" وفي ذهابي له لقيت الطبالين والعياطين وآلات الطرب كلها في السوق ذاهبين بأربعة قباب من شمع كل واحدة من لون، واحد من لون أحدها خضراء، وأخرا بيضاء، وأخرا حمراء، والرابعة نسيت لونها ..." [3].

ولقد أشار الرحالة ابن عمار[4]، إلى كيفية إحتفال مدينة تلمسان بالمولد النبوي الشريف، فكان السلطان أبو حمو يقيم ليلة الميلاد النبوي، وكان يحضرها الخاصة والعامة من الناس، فيها " ماشئت من نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة وبسط موشاة، ووسائد من ذهب مغشاة وشمع كالإسطوانات وموائد كالهالات ...

---

[1] الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص 145.

[2] وليام شالر ، المصدر السابق، ص 98.

[3] ابن حمادوش، المصدر السابق، ص84.

[4] الرحالة ابن عمار ، سيأتي ذكره لاحقا في الفصل الثاني .

يفاض على الجميع أنواع الأطعمة...وعقب ذلك يحتفل المسمعون لأمداح المصطفى عليه الصلاة والسلام ...وتؤتى أواخر الليل بموائد فيها ما لذ وطاب من المطاعم، ويستمر هذا الوضع إلى إنبلاج الصبح [1].

**الإحتفال بليلة القدر وعيد الفطر:** من بين الأركان التي يقوم عليها الإسلام الصوم الذي يتزامن وشهر رمضان، وكان المجتمع الجزائري يقدس هذا الشهر لما فيه من فضائل وتكافل وتضامن، حيث يتم الإعلان عن حلوله بإطلاق طلقة مدفع [2]، كما أن المسلمين في هذا الشهر يحتفلون بليلة عظيمة عظم هذا الشهر، هي ليلة القدر، يكثر فيها ذكر الله والدعاء، فلقد وصف لنا ابن حمادوش أجواء إحتفال أهل الجزائر بليلة القدر وصفا دقيقا فقد قال:" إن من عادة متولي الجامع الكبير، أن يقوم بإفراغ قنطار أو أكثر من الشمع على ثمانين شمعة خضراء، تحمل كل واحدة منها ثلاثة إلى أربعة أرطال"[3]، وتحمل هذه الشموع إلى دار المفتي أو الوكيل، فإذا ما أقيمت صلاة العصر، أخرج المؤذنون أو غيرهم ذلك في أيديهم يطوفون بهم البلاد، ويرجعون من طريق أخرى يصاحبهم في ذلك من ينشد بين أيديهم، ويرفعون أصواتهم بالصلاة على النبي، فإذا ما دخلوا المسجد أشعلوا ما كان من الشموع والقناديل ، ويحيون الليل حتى قروب الفجر، فإذا قرب الفجر قرؤوا ما تيسر من القرآن، وأكثروا من التسبيح، فإذا فرغوا أتى موقد القناديل بأحد تلك الشمع إلى المحراب، أين يوجد الإمام وخواصه، فيفتح كتابه، ويقرأ من باب "ونضع الموازين القسط يوم القيامة " إلى نهاية الختم، ويرددون "سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم "مائة مرة ، وفي هذه المدة يرشون بماء الورد، ثم يسكتون، ويرفع الإمام يديه ومن معه بالدعاء، ثم ينصرفون [4].

---

[1] أحمد ابن عمار ، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، مطبعة فونتانة، الجزائر ،1902، ص130.

[2] أبو العيد دودو، الجزائر في عيون الرحالة الألمان، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر،2008، ص130.

[3] ابن حمادوش، المصدر السابق، ص126.

[4] نفسه .

بعدها يذهب الناس لزيارة قبر سيدي عبد الرحمان الثعالبي، ويحضرون ختم البخاري، على هذه الصفة ثم يتهيئون إلى العيد [1]، هذا العيد الذي يقع في الفاتح من شهر شوال بعد انقضاء شهر الصيام[2]، حيث يستيقظ السكان في الصباح على أنغام الموسيقى ويرتدون أجمل ما لديهم من الثياب، خاصة الأطفال الذين يرتدون الثياب المطرزة بالذهب والفضة ، والسراويل المصنوعة من الصوف والقطن ، مما يجعل منظرهم في منتهى الروعة [3]، وتكثر فيه أشكال الخير وتوزيع الصدقات، وتعدد الزيارات بين الأقارب والأصدقاء والجيران، وتزين المساجد والزوايا والقناديل بأنواع البخور والعنبر[4]، ويتبادل الناس تهاني العيد فيما بينهم [5].

ويذكر أبو سالم العياشي في رحلته عادة من عادات سكان الجنوب الجزائري تتعلق بالعيد ، حيث لاحظ بأن سكان بوسمعون يخرجون صبيحة يوم العيد، بحيث يكون كلهم يحملون السلاح فيقول:"...وكانت عادتهم أنهم يخرجون إلى المصلى بسلاحهم، لا يخرج أحد بغير سلاح صغيرا كان أو كبير ، ويبنون في المصلى أحجارا يتخذونها غرضا للرمي بالبنادق..."[6] ، مما يدل على إنعدام الأمن في تلك الفترة .

---

[1] ابن حمادوش ، نفس المصدر السابق، ،ص125.

[2] محمد بن رمضان شاوش ، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،2011، ص50.

[3] أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص134.

[4] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، جغرافية، إجتماعية، ثقافية )،ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر ،2002،ص270.

[5] فنديلن شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي [1832-1837]، ط2، ترجمة :أبو العيد دودو ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982، ص270 .

[6] العياشي، المصدر السابق، ص549.

بعد هذا العيد الذي يدوم الإحتفال فيه لمدة ثلاثة أيام يأتي عيد الأضحى، حيث يحتفل فيه بالطريقة نفسها، فبعد القيام بالصلاة في المساجد صباحا، تذبح الأضحية التي تعد كأمر مميز، إضافة إلى القيام بألعاب بهلوانية مختلفة بحضور الداي وكبار رجال الدولة [1]، وهو من المناسبات الجليلة تعلنها طلقات المدافع المدوية ويطلق المسلمين فيها العنان للفرح والسرور [2].

**ب- الولائم :** مارس سكان الجزائر عادات مختلفة وكثيرة منها حفلات الختان والخطبة والزواج وإستقبال وتوديع الحجاج [3]، ونظرا لما ذكرناه سابقا من صفات في المجتمع الجزائري من كرم وحسن ضيافة، إعتاد على إعداد الولائم في المناسبات والأفراح ، ولقد صورها لنا الرحالة في رحلاتهم وسنذكر منهم بعض المناسبات .

**وليمة الختان :** إذا بلغ الطفل سن الخمس سنوات أو ما يقرب منها لزم ختانه فيأتي بالحجام (الرجل الذي يقوم بعملية التختين ) إلى الدار، ويباشر العملية بحضور المدعوين الذين يقدمون للطفل نقودا لتشجيعه على ما يقاسيه من ألم، وعادة ما يتم دعوة الناس إلى حفل موسيقى لتلك الليلة، وتخصص مجموعة من الأطعمة لهذه المناسبة أطلق عليها " الطهارة " [4].

ويذكر أحمد الشريف الزهار حفلة ختان ولدي الباشا مصطفى حاكم الجزائر حيث يقول :"...وقد صنع مهرجانا كبيرا...ودعي أهل البلد العام والخاص...وكانوا يطعمون الناس ثلاث مرات في اليوم، والقهوة في كل وقت، وألعاب بهلوانية...

---

[1] محمد مكحلي، المرجع السابق، ص 20.

[2] وليام شالر، المصدر السابق ، ص67

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص155.

[4] محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 54.

وأمر بختان أولاد الفقراء ،وإستمر ذلك شهرا ..."[1]، و ابن حمادوش لم يقم وليمة عرس على ختان إبنه، فلقد طهره دون علم أحد ،إلا أنه تعرض للوم من قبل أهله، لأنهم كانوا يطمعون في إقامة عرس لختانه، لأنها كانت عادة شائعة بينهم، فذكر طريقة ختان إبنه فحكى أنه لقي حجاما وأخذه إلى داره، وظن أن إبنه لا يعرفه، فلما دخلا البيت طلب من إبنه الصعود مع الحجام إلى الطابق العلوي، إلا أن الطفل فر خارج البيت، فلحقه ابن حمادوش والحجام وأمسكاه، فطهره دون علم أحد "[2].

والظاهر أن ابن حمادوش لم يقم الوليمة وذلك نظرا لما كان يعاني منه من فقر والعيشة الصعبة التي كان يعيشها.

**الإحتفال بعودة الحجاج :** ذكر الرحالة الورثيلاني طريقة الإحتفال بعودة الحجاج وكيف تقام الولائم لذلك، وإستقبال أهله من بني يعلى وبني ورثلان لهم، بحيث أقيمت لهم مأدبة كبيرة على شرفهم، فقال :" فإجتمع من وطني بني يعلى و ورثلان مايكاد أن يكون سوقا كبيرا...وقد ذبحوا ما كاد أن يخالف العادة...وهي ضيافة عظيمة إذ فيها المؤن من الخلق... "[3]، فلما أصبح الله بخير الصباح صنع أهل هذه البلاد طعاما، فزاد الخلق بحيث لا يكفيهم الخالق، غير أنهم لما أخرجوا الطعام جعل الله فيه البركة العظيمة [4].

## 4- الهياكل الصحية والوضع الصحي

**أ-الهياكل الصحية :** أماكن العلاج في الجزائر خلال العهد العثماني تكاد تنحصر في بعض المصحات، وملاجئ العجزة، مثل مصحة زنقة الهواء وملجأ الأمراض العقلية

[1] أحمد الشريف الزهار ، مذكرات أحمد الشريف الزهار ، تحقيق: أحمد توفيق المدني، دار البصائر للنشر والتوزيع الجزائر،2009، ص110.

[2] ابن حمادوش، المصدر السابق ، ص 118.

[3] الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص 809 .

[4] نفسه ، ص ص810-811.

المخصص للأتراك [1]، وذكر هايدو :" أن في الجزائر منزل وحيد يسمى المستشفى بني في عام 1594م بواسطة حسن باشا، ابن بربروس خير الدين، عندما كان الملك في هذه المدينة " [2].

أما عن الأطباء، فإنه لا يوجد طبيب واحد في المدن أو أسواق الريف يعترف به البايلك بصفة رسمية [3]، والطرق العلاجية التي كانت في العهد العثماني لدى المجتمع الجزائري بدائية كإستخدام الثوم والعسل وأوراق بعض النباتات لعلاج الإلتهابات ولدغات العقارب والثعابين والكي بالنار لمداوات القرحة المستعصية ...الخ [4]، وذكر الرحالة ابن حمادوش طريقة علاج الحمى التي حلت به فقال:"...حتى ألهمني إليه أن أشتري ثلاثة أثمان من الكين كينة [5]، ودفعت الثمن الأول وشربته في فنجال قهوة ...فلما شربت الثمن الثاني إنقطعت من كل عضو، ثم شربت الثمن الثالث، فلم يبقى بي ألم منها ...فإنصرفت تلك الحرارة عني، والحمد لله "[6]، أما قلة الأدوية فلقد زادت الحالة الصحية سوءا، فالبلاد كانت تكاد تخلوا من صيدليات أو حوانيت لبيع الأدوية، فحسب المعلومات لم تكن توجد بالبلاد سوى صيدلية واحدة بمدينة الجزائر [7] .

---

[1] نصر الدين سعيدوني ، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق ، ص 217.

[2] HAEDO FRAY DIEGO, Histoire Des Rois D'Alger, T.R.A.H. DGrammont, Alger, Adophe Jomdan, libraire-éditeur, 1881, p17.

[3] نصر الدين سعيدوني،الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر – دار السلطان أواخر العهد العثماني –، درا البصائر للنشر و التوزيع ، الجزائر، 2012 ، ص437 .

[4] نفسه ، ص436 .

[5] الكين كينة (Quinine) : دواء يستخرج من قشرة أشجار الكين كينة(المنتشرة) في المناطق الإستوائية ،إكتشفها الأوروبيون في القارة الأمريكية في القرن 16م أنظر : أرزقي شويتام ،المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني [1519- 1830] ، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة الجزائر ،2006،ص 297 .

[6] ابن حمادوش، المصدر السابق، ص64 .

[7] نصر الدين سعيدوني، النظام المالي، المرجع السابق، ص54 .

لكنها لا تحتوي إلا على بعض الزجاجات والكؤوس المحتوية على بعض العقاقير والتوابل يشرف عليها أحد الأتراك[1].

**ب-الوضع الصحي:** عرفت الجزائر خلال العهد العثماني العديد من الأمراض والأوبئة ولقد أشارت بعض المصادر الفرنسية إلى عدة أنواع من الأمراض التي كانت منتشرة في الإيالة، كان في مقدمتها:الطاعون، الكوليرا، والتيفوس، الجدري والسل والملاريا، هاته الأخيرة هي مجموعة من الإضطرابات التي تسببت فيها طفيليات حمى المستنقعات، وتكثر الحمى العفنة في نواحي الجزائر[2]، فلقد أصيب بها الرحالة الزياني[3] وهو بقسنطينة ، فيقول الرحالة الزياني عن ذلك: " ...فما رجع إلا وأنا مصاب بالحمى، فأيقضني للعشاء فلم أقدر ..."[4]، كما أصيب علي باشا بالملاريا، وإستخدم كافة الأدوية التي وصفت له ،لكنه لم يشف من مرضه، وتوفي في شباط (فيفري)سنة [1130هـ/1717م][5]، وإنتشر مرض الطاعون بكميات كبيرة، فكان يؤدي إلى هلاك من300الى 400 نسمة في اليوم ففي سنة 1720 حسب لوجي دوتاسي أنه ظهر طاعون دمر الإيالة الجزائرية، فمن عام 1740م إلى عام 1743م فتك بحوالي10000 نسمة [6].

---

[1] حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1 ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر 2009، ص 164 .

[2] يورغن يوهان ألبرشيت فون شونبيرغ، الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال، ط1،ترجمة و تقديم:ابو العيد دودو المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر ،2005، ص37 .

[3] الرحالة ابو القاسم الزياني، ولد بفاس سنة[1147هـ/1734 م]، صاحب الرحلة المسماة : الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا و بحرا، توفي في[1244هـ/1833م]، أنظر : مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال الرحالة المغاربة في العهد العثماني، ط2 ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981،ص21 .

[4] ابو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا ،ط2،تحقيق: عبد الكريم الفيلالي ، دار نشر المعرفة الرباط – المغرب ،[د-ت]، ص151.

[5] عزيز سامح آلتر ، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، ط1، ترجمة : محمود علي عامر ، دار النهضة للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ،1989، ص467.

[6] نفسه، ص148.

فقد ذكر العياشي الوباء في رحلته أثناء قدومه لمنطقة بسكرة فقال :"...وقد لقيت بها (بسكرة) سنة تسع وخمسين رجلا من الصالحين ...وإسمه سيدي أبو الطيب ...ولما رجعت من الحجاز في سنة الستين وجدته توفي بالوباء الواقع في تلك السنة، وكان الوباء مفرطا مات به في بسكرة على ما قيل نحو سبعين ألف نفس، وقد دخلنا مدينة عقبة فوجدنا أكثر حوماتها خاليا ومساجدها داثرة ..."[1]، و لقد أضر الطاعون بالأوضاع الصحية للجزائر خلال العهد العثماني وإرتبط بالعوامل الأخرى التي أثرت على الوضع الصحي للسكان مثل:الإضطرابات الجوية والتقلبات المناخية وفترات الجفاف والفيضانات بالإضافة إلى إجتياح الجراد وما نتج عنه من زلازل وحرائق وما نتج عنها من دمار وخراب للمباني[2].

في مقابل هذا الوضع المأساوي، نجد أن الحكام في الجزائر لم يتخذوا أي إجراء وقائي ضد الأمراض ولم يلتجئوا إلى نظام الكرانتينة[3]، وإعتبروا هذه الآفات أمرا طبيعيا إن لم يكن غضبا إلآهيا[4]، لكن هذا لايمنع أن بعض الحكام كانوا يقومون بالحجر الصحي ولو أنها قليلة وهذا ما تكلم عليه ابن حمادوش قائلا :" في ثالث رجب الموافق آخر يوم من يوليه قدم علينا مركب من الإسكندرية بالحجاج وفيه الوباء، فمنعهم الباشا بالدخول حمية من أن لهم في الدخول بعد تحقيق سلامتهم من المرض المذكور" [5].

---

[1] العياشي ، المصدر السابق ، ص 538.

[2] محمد بن جبور ،" الوضع الصحي بالجزائر أواخر العهد العثماني "، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية، قسم التاريخ – جامعة معسكر ، العدد 2009/7، ص64.

[3] من الكلمة الإيطالية karantin بمعنى أربعين ، وكان الواردون من الخارج الذين يشتبه بمرضهم يحتجزون في الحجر الصحي أربعين يوما حتى تثبت سلامتهم من الأمراض الوبائية ، أنظر : أرزقي شويتام ،المرجع السابق ، ص291.

[4] نصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية ، المرجع السابق، ص 560.

[5] ابن حمادوش ، المصدر السابق ، ص 560.

# الفصل الثاني

## الحياة الثقافية في الجزائر العثمانية على ضوء كتب الرحالة

**1- وضع المؤسسات الثقافية في نظر الرحالة.**

**2- العلوم المنتشرة و الإنتاج العلمي في تلك الفترة.**

**3- صورالتواصل الثقافي بين الرحالة و العلماء في الجزائر.**

**4_ إنتشار الزوايا وشيوع ظاهرة الصوفية.**

## 1- وضع المؤسسات الثقافية في نظر الرحالة

إن المؤسسات الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني لا تكاد تخرج عن المسجد والمدرسة والزاوية والكتاتيب، ولقد كان لهذه المراكز الثقافية أدوارا هامة في المجتمع ومعظم هذه المؤسسات كانت للتعليم، ولقد تميزت هذه المؤسسات بفن معماري جميل وذلك ما صوره لنا الرحالة في رحلاتهم خلال العهد المدروس، وسأحاول في هذه الصفحات إبراز وضع هذه المؤسسات من خلال الفن المعماري ومن خلال النشاط الديني والتعليمي وذلك بالإعتماد على بعض آراء ووجهات نظر الرحالة الذين صالوا وجالوا مختلف بقاع الجزائر خلال العهد المذكور.

**أ- من حيث الفن المعماري:** لقد لبست المدينة في العصر التركي حلة معمارية قشيبة بمساجدها الزاهرة، ومآذنها العالية ،ولقد لاحظ جورج مارسي[1]، أن أول ما يلفت انتباه المسافر عندما يحل بأرض الجزائر هو الوجود التركي الذي يتجلى فيما تركوه من آثار معمارية زاهية، والفن المعماري على عهد الأتراك يمتاز بالنقش والزخرفة وضروب الإبداع الفني، وتمثل المساجد والزوايا والمعابد جزءا كبيرا من هذا الفن المعماري ،ولقد بلغ عددها في العصر التركي نحو 98 مسجدا وزاوية [2]، و تعد المرافق الدينية والتعليمية من أهم المعالم في المدن الإسلامية، وفي مقدمتها المساجد والزوايا والكتاتيب [3].

---

[1] جورج مارسي : هو مستشرق فرنسي ولد عام 1876 في رين ، مستعرب وعالم آثار يدرس في المدرسة الإسلامية بقسنطينة ، ثم أصبح أول حامل الرئيس (د) "علم الآثار الإسلامي" في كلية الجزائر العاصمة ،عام 1929 ، و توفي في باريس 20 ماي.1962./جورج مارسي/https://ar.wikipedia.org/wiki ".

[2] رابح بونار ،"مدينة الجزائر – تاريخها – وحياتها الثقافية "مجلة الأصالة ،العدد 2011/8،ص ص83-84.

[3] محمد السيد أشرف صالح ،"المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر)أواخر العصر التركي، مجلة أماراباك، العدد13-20/[ د-ت] ، ص63.

التي لا يمكن أن تخلو أي مدينة من المدن الإسلامية منها، ولقد تغنى الرحالة في كتاباتهم بالفن المعماري للمساجد مع أنهم لم يذكروا شكل المدارس والزوايا إلا في بعض الأماكن، ويصف لنا العديد من الرحالة المساجد، فهذا الرحالة الورثيلاني يصف لنا في رحلته مسجد مدينة بسكرة، إذ تتميز المدينة بمساجدها العظيمة التي لا يوجد لها مثيل إلا في مدن كبرى مثل القاهرة ومن ذلك الجامع الأعظم، فيقول :" ومع دخولنا المسجد الجامع الأكبر الواسع ذي البنيان الشامخ فلم يوجد فيما علمت أحسن منه ولا أوسع ولا أعظم في المساجد المعلومة" [1].

وإذا وضعنا مقارنة شكل المساجد قبيل الدخول العثماني وشكلها خلال العهد العثماني، فنرى حسب ما وصفته المصادر بأن المساجد في العهد العثماني كانت في الغالب أنيقة وجميلة [2]، كما لاحظ ذلك الورثيلاني عندما زار مسجد بالزاب بقوله :" وزرنا مسجدا وطلعنا الى مئذنته وهي غاية الإتقان والطول والسعة... وأدراجها مائة وأربع وعشرون درجة، والمسجد في غاية السعة وإتقان البناء"[3]، فيعيب عليه ويقول :" إلا أنه قل عامروه وضعف ساكنوه"[4]، بينما مساجد الأهالي[5]، فكانت في الجملة متواضعة ... فهي في الغالب مبنية من الجبس أو الحجر، وصوامع منخفضة ومفروشة بالحصير والزرابي البسيطة، بحيث يصف لنا الرحالة الأغواطي في رحلته مساجد منطقة توقرت بأنها:" لها منارات عالية جدا " [6]، وهذا واضح أنها من صنع العثمانيين .

---

[1] الورثيلاني ، المصدر السابق، ص140.

[2] ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي،ج2، المرجع السابق، ص 254.

[3] الورثيلاني ، المصدر السابق، ص117.

[4] نفسه.

[5] الأهالي : على حد تعبير الدكتور أبو القاسم سعد الله، يقصد هنا السكان الأصليين للجزائر، وهذا المصطلح مصطلح فرنسي أطلق على سكان الجزائر.

[6] الأغواطي ، المصدر السابق ، ص100.

ووصف لنا الرحالة الأجنبي وليام شالر في رحلته إلى الجزائر المساجد بأنها متقنة البناء، منها عشرة مساجد كبيرة ذات منارات، أما التي تقل عنها شأنا فعددها يفوق الخمسين[1].

وتجدر الإشارة هنا إلى معلومة هامة عن إحدى مساجد بلدة تماسين "بتقرت حاليا" –وهي بلدة كثيرة العمارة والنخيل – وفي مسجدهم هذا صومعة وثيقة البناء[2]، وطويلة جدا فيها نحو مئة درجة، على بابها إسم صانعها وهو المعلم أحمد بن محمد الفاسي، وتاريخ بناءها المسجل بتاريخ 817هـ–1414م[3] .

وبدراستنا لهذه المساجد نجد أنه رغم إهتمام العثمانيين بها إلا أن جل هذه المساجد إندثرت وذلك لقلة إهتمام السكان الجزائريين بها، فلقد وصف لنا الرحالة العبدري في رحلته مسجد ببجاية بأنه صار أطلالا فيقول في ذلك:" فيها جامع عجيب منفرد في حسنه غريب من الجوامع المشهورة والموصوفة المذكورة وهو مشرف على برها وبحرها وموضوع بين سحرها فهو غاية في الفرحة والأنس...وأهلها يواظبون على الصلاة فيه مواظبة وغاية ولهم في القيام تهمم وعناية فهو بهم مأهول عامر...ولما وصل إليه الأوان من قلة العالم حتى عفا رسمه وصار أطلالا " [4].

وفيما يخص الزوايا فيطلق إسم الزاوية في الأصل على ركن البناء، ويطلق إسم الزاوية على طائفة من الأبنية ذات الطابع المعماري الديني، وهي تشبه المدرسة، وبها

---

[1] وليام شالر ، المصدر السابق ، ص38.

[2] الصومعة (المؤذنة) تتوسط القصر ، قاعدتها 4أمتار ، وعمق قاعدتها 10 أمتار ، وقد بناها محمد الفاسي المغربي تحت إشراف مؤسس المسجد المسمى الحاج عبد الله المغراوي .

[3] الطيب بوسعد " الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني (واد ريغ أنموذجا ) ،مجلة الواحات للبحوث والدراسات ،(غرداية – الجزائر)،المركز الجامعي غرداية ،العدد 2011/15، ص445.

[4] محمد العبدري البلنسي، الرحلة المغربية ، تقديم: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر ،2007، ص50.

محراب وضريح لأحد المرابطين أوالولي... ويعلو المبنى قبة[1]، ويصفها وليام شالر بقوله:" إن أرضيتها مغطات بالحصائر والزرابي وأبنيتها تشدها عرصات قوية تتدلى بينها في إتساق ونظام قناديل من زجاج " [2].

ويصفها أبو القاسم سعد الله أن الزاوية جمعت بين هندسة المسجد والمنزل، وهي في الجملة قصيرة الحيطان منخفضة القباب والعرصات قليلة النوافذ وإذا كان للزاوية مسجد فهو في الغالب بدون مأذنة، كما أن الزاوية من الناحية الهندسية غير جميلة وليست مرخمة ...وشكلها يوحي للعزلة والتقشف والهدوء والخلو[3].

**ب- من حيث النشاط التعليمي:** لا تكاد المؤسسات التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني تخرج عن المسجد والمدرسة والزاوية، وتذكر المصادر أنه كان في تلمسان في أواخر العهد العثماني خمسون مسجدا، منها جامع سيدي بومدين، والجامع الكبير، وجامع محمد السنوسي، وجامع أولاد الإمام[4]، وكان التعليم منتشرا تبعا لذلك في المساجد والزوايا وبعض المدارس، حيث تقام فيها حلقات الدروس، أو مجالس الإقراء، ولقد أبرز لنا العديد من الرحالة الوضع التعليمي في هذه المؤسسات، فهذا الرحالة الورثيلاني يصفه في رحلتة حيث آلمه كثيرا ما رأى من مظاهر الجهل الذي حل ببعض المناطق، جهل بالدين قبل أن يكون جهل بالدنيا وأمورها .

---

[1] أحمد مريوش ،الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر ،2007، ص ص151-152.

[2] وليام شالر، المصدر السابق ، ص38.

[3] أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 152.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، المرجع السابق، ص266 .

وفي أثناء رحلته وعند حلوله بمنطقة الزاب، وبالتحديد طولقة كتب :" لما دخلت مسجدها لم أجد فارقا ولا مدرسا سوى رجلا واحدا متى يقرأ لوحة وهو ملقى أمامه، يقرأه على غير أدب ولا استقامة وأخبرني بعض أصحابنا أنه وجد رجلا واحدا يسرد البخاري ...ولقد وددنا عمارتها بالعلم والعمل، ورفع الحرج عنها برفع ذوي الزيغ والزلل، وتدريس العلم وذكر الله أناء الليل وأطراف النهار في ذلك المسجد المشيد، فإن لأهل هذه المدينة بفعل ما يريد"[1].

وصور لنا المقري في رحلته وصفا لمدرسة أولاد الإمام فلقد تأسف على الوضع الذي آلت إليه فيقول:" ...المدرسة الصيت بالمغرب، المعروفة بمدرسة أولاد الإمام،فشرحنا النواظر في محاسن المدرسة المذكورة، وطفنا على رسومها الباقية حتى وصلنا الى خزانة الكتب المشهورة، فلقيناها بابا خاوية على عروشها، وقد ملئت بالزبل "[2].

ومن بين العلماء الذين كانوا مع المقري في هذه الزيارة الفقيه علي بن محمد بن علي أبهلول[3]، وتحسر الرجلان كثيرا على المصير المؤسف لهذه المدرسة.

فخاطب الفقيه بن علي أبهلول في هذا المحل مستجيزا:

خزانة مملوءة بالزبل في مدرسة ابن إمام

فرد المقري مستجيزا:

وذلك يقضي أرى أرجاءها ولم يبقى فيها فاضل والسلام[4]

---

[1] الورثيلاني ، المصدر السابق، ص121.

[2] أحمد بن محمد المقري ، رحلته في المشرق والمغرب، تحقيق:محمد بن معمر،مكتبة الرشاد،الجزائر،2004، ص140.

[3] علي بن محمد بن علي بن أبهلول من أسرة ذات نسب شريف، أبوه محمد بن علي أبهلول المجاجي ، صاحب الزاوية العلمية المعروفة ، وكان علي بن محمد من أجلة علماء فصحاء العصر، وكانت له صلة مع نخبة من الفقهاء من بينهم عبد الكريم الفكون، وللمزيد حول أفراد هذه العائلة أنظر ، الحفناوي ، المرجع السابق ،ج2،ص-ص279-289 .

[4]أحمد بن محمد المقري ، المصدر السابق، ص ص 140-141.

وزار الرحالة أبو القاسم الزياني تلمسان في العهد التركي، وأقام بها مدة وسجل إنطباعاته في رحلته الترجمانة الكبرى قال :" لما دخلت تلمسان التي لا يعرفني بها إنسان خالي الكيس من النقير والقطمير، ولا معين ولا أنيس ولا مشير، فكنت أقصد المسجد الجامع لعلي أجتمع برئيس أو أظفر بخليل أتخذه لوحشتي أنيس، وأبحث عن الأعيان والأعلام، وأهل المحابر والأقلام إلى أن يقول :

كانت تلمسان بالأعلام صائمة وبالجياد ولم تربط بها الحمر

أصابها المسخ إذ عادت مناصب العلم للأجلاف والخور

وكيف لا وجنود الترك حولهم تسوقهم بعصي الخسف لا تذر [1]

والملاحظ من الأبيات أن الوضع التعليمي كان متدني وذلك نظرا للظروف التي كانت تعيشها الجزائر.

ومما يؤيد رأي الرحالة الزياني، الرحالة العبدري مما قاله في حق تلمسان بما يلي:"...مبانيها مرتفعة ولكنها مساكن بلا ساكن ومنازل بغير نازل ومعاهد إفتقرت من متعاهد، وأما العلم فقد درس رسمه في أكثر البلاد ...فما ظنك بها وهي رسم عفا طلله ومنهل حق شلله" [2].

كانت قسنطينة والعاصمة أهم المراكز الثقافية في البلاد، فقسنطينة وحدها كانت تشمل على إثنين وأربعين مسجدا للتعليم الثانوي يدرس فيها مابين ست وسبعمائة تلميذ وتسعين مدرسة إبتدائية تستوعب حوالي ثلاثمائة ألف تلميذ تتراوح أعمارهم مابين ست وعشر سنوات [3] .

---

[1] المهدي بوعبدلي ، التعريف بمدينة تلمسان وولايتها عبر التاريخ، ضمن كتاب" مآثر تلمسان وماضيها وحاضرها "– نخبة من الأساتذة والمؤرخين – جمع وتعليق : محمد بوزاوي، القافلة للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2011،ص40.

[2] العبدري، المصدر السابق، ص28.

[3] صالح فركوس ،المرجع السابق ،ص100.

ويحدثنا الورثيلاني عن وضعية التعليم بقسنطينة فيشير إلى إهمال الحكومة التركية إلى ذلك فيقول: " وأما المدارس فيظهر أنها كانت من إهتمام الخاصة نظرا لحرص باياتها على العناية بالقلاع والحصون " ومع ذلك " فهي لا تخلو من العلم غير أن تدريسه فيها إنما يكون في بعض الأوقات كالشتاء وأول الربيع وأما سائر الأوقات فلا فليس فيها العلم الغزير ولا إنعدامه رأسا، فليس يفقد دفعة واحدة ولا يتسم كلية، فولاتها لم يشتغلوا في بناء المدارس ولا بكثرة الأوقاف والأحباس لما علمت أنها ضيقة وملكها ليس كملك تونس" [1].

أما الزاوية فمن بين أهدافها ومقاصدها، تعليم وتثقيف الطبقة العامة وتعمل الزاوية على تحفيظ القرآن، وكانت مقسمة إلى قسمين، القسم الأول: يتولى تحفيظ القرآن وإسكان عابري السبيل الذين تعلموا القراءة وحفظ القرآن في الكتاتيب القرآنية، أما القسم الثاني : يتولى تدريس بعض فنون الدين كالفقه والقصائد الدينية والنحوية وقواعد النحو والصرف وفنون البلاغة والمنطق وبعض المبادئ في علوم الفلك [2].

إن ما تقدم من حديث وما صوره لنا الرحالة في كتاباتهم يضعنا أمام صورة مظلمة للمؤسسات الثقافية، صورة تكاد تكون واحدة في جل أنحاء الوطن.

[1] الورثيلاني ،المصدر السابق، ص 791.

[2] أحمد مريوش، المرجع السابق ، ص 153.

## 2- العلوم المنتشرة والإنتاج العلمي في تلك الفترة

إن الأوضاع التي تميزت بها الحياة في هذا العصر من قسوة في الحياة الاجتماعية وإنعدام الأمن وكثرة الإضطرابات في الحياة السياسية، ما كان أبدا ليساعد على ظهور حياة ثقافية وحركة أدبية وفكرية قوية، وما كان من المتوقع أن تشهد إبداعا أدبيا ذا قيمة علمية، ولقد ساد الجهل في هذا العصر وإنتشرت فيه الأمية ولم يعد هناك إهتمام كبير بالجوانب الثقافية[1] ،هذه الصورة تجلت لنا في العديد من الرحلات وهذا ما سنتطرق إليه.

**أ- العلوم المنتشرة:** إذا كان الحكم على إزدهار الحياة الثقافية في عصر من العصور يقوم على تقدم العلوم والفنون فيه[2]، فإن العهد العثماني في الجزائر يعتبر فقيرا من هذه الناحية وهذا ربما راجع إلى عناية العلماء بالعلوم التي كانت متداولة آنذاك والتي لم تكن تخرج عن تقليد السابقين من علوم شرعية وأدب وتواريخ محلية وتصوف، في حين عنايتهم بالطب والحساب والفلك والرسم والعمارة قليلة جدا، وربما تكون منعدمة وهو ما جعل الإنتاج العلمي في هذا العصر ضئيلا[3]، فلقد صور لنا وليام شالر من خلال رحلته إلى الجزائر حالة العلوم فقال :" أما حالة العلوم فإن مما لا جدوه فيه الحديث عنها، حيث أنها غير موجودة أو هي متى كانت موجودة محتقرة بل أن علم الطب نفسه لا يوجد من يدعيه هذا إذا إستثنينا المشعوذين وكتاب الحروز" [4].

والعلوم التي كانت متداولة آنذاك لا تخرج عن تقليد السابقين بحيث إنتشر الحفظ ولم يكن هناك الإجتهاد، ولم يكونوا يتمتعون بالإستقلال العقلي، وروح الإبتكار، ولقد وصف أحمد المقري معاصروه بأنه كان أحفظ أهل زمانه حتى قال فيه أحدهم بأنه لا يعرف في وقته أحفظ منه، وعندما خرج المقري في رحلته من المغرب إلى المشرق قيل عنه خلت

---

[1] الطاهر حسني، المرجع السابق، ص70.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص401.

[3] أبو راس الناصري، عجائب الأسفار، المصدر السابق، ص45.

[4] وليام شالر ، المصدر السابق ، ص81.

البلاد من مثله ومضامينه[1]، أما وصف المقري بأنه حافظ المغرب الأوسط هو نفس الوصف الذي أطلق على غيره ولاسيما أبو راس الناصري، وظاهرة الحفظ والتقليد جمدت الإنتاج في العلوم كلها[2]، ولعل هذا هو ما جعل الرحالة الأجانب الذين عاشوا في الجزائر خلال العهد العثماني يحكمون عن حق حكما قاسيا على علماء الجزائر، ويتهمونهم حتى بممارسة السحر والشعوذة والتخلي عن تراث أجدادهم وأفكارهم الإبداعية [3].

إن العلوم الأكثر إنتشارا في هذا العهد، هي تلك التي نجد ظلالها في رحلات العصر ونعني بها علوم اللغة وعلوم الدين: من نحو، وتفسير، وقراءات، وحديث، ولا شك أن ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى كون القرآن والحديث، كان المنبع الذي يستمد منه الجزائريون كل ألوان تفكيرهم وأنماط حياتهم [4].

ولقد وصف لنا الورثيلاني سكان منطقة خنقة سيدي ناجي[5]، في رحلته بقوله :"وهم منشغلون بالنحو والفقه والحديث... وأما علم الكلام والمنطق فمنعدم في محلهم رأسا "[6].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص09.

[2] نفسه.

[3] نفسه، ص 401.

[4] نفسه، ص 09.

[5] خنقة سيدي ناجي: تابعة إداريا لولاية بسكرة ، وتبعد عن عاصمة الولاية بحوالي 100 كلم شرقا، أنشأت زاويتها على يد الشيخ مبارك بن قاسم بن ناجي في سنة [1037هـ/1627م ]، كانت المدرسة الناصرية التابعة للزاوية تدرس العلوم الشرعية واللغوية ، وقد إستقبلت في تاريخها العديد من طلبة العلم من إتجاهات مختلفة ،أنظر:شهرزاد بوترعة ،الحضور المغاربي في الجزائر خلال العهد العثماني ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المغاربي الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ، جامعة المسيلة ،2015/2014م ، ص39.

[6] الورثيلاني، المصدر السابق، ص150.

ويذكر أيضا الورثيلاني في رحلته قرية أولاد سيدي الشيخ ناجي[1]، أنهم منشغلون بدراسة النحو فيقول :" فإن النحو عندهم يعتني به الكبير والصغير حتى أنهم إشتهروا به إشتهارا بينا وبالجملة فمحلهم مشهور بالفضل والعلم والهمة "[2].

وأورد الرحالة العياشي في رحلته عن توقرت عندما حل بها ذكر فيها إلتقائه بأحد طلبة العلم ألا وهو محمد بن عبد الكريم التواتي ووصفه بالمتضرع في الفقه والنحو، ولها بعض الخبرة بعلم العروض[3] .

إشتهرت مدارس العلم بزواوة ومعسكر بالأدب والنحو والصرف واللغة والعروض وإتجه أبو راس الناصري صاحب مخطوط عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، إلى منطقة القيطنة بأم عسكر، التي كانت تمثل منارة العلم، ومركز إشعاع ثقافي وعلمي، حيث تلقى فيها العلوم الدينية واللغوية ويقول في ذلك :" قرأت القرآن في حال صغري ثم قرأت أحكام القرآن، وخفضتها على ظهر قلبي ولما أتقنت القرآن بأحكامه ... إنتقلت لقراءة الفقه فقرأت على فقهاء معسكر"، وقد بلغ علمه ودروسه مستوى عالي ...وكان مجلسه يضم أكثر من سبعمائة وثمانين 780طالبا [4].

وهو ما دفع بالباي محمد عثمان الكبير[5]، ليخصص له كرسيا يستعين به في إلقاء دروسه نظرا لنحافة جسمه التي لم تكن تسمح له بالظهور من وسط الطلبة بسبب إزدحامهم عليه.

---

[1] أولاد سيدي الشيخ ناجي :هم سكان خنقة سيدي ناجي ببسكرة ، للمزيد أنظر:الرحلة الورثيلانية، المصدر السابق، ص152.

[2] الورثيلاني ، المصدر السابق، ص152.

[3] العياشي، المصدر السابق، ص445.

[4] أبو راس الناصري، عجائب الأسفار، المصدر السابق ، ص-ص15-20.

[5] أنظر تعريفه في الفصل التمهيدي ، وللمزيد حول الشخصية ،أنظر :أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ،ص 63.

ومن ثم سمي الشيخ بـ : صاحب الكرسي الدوار[1]، كما بنو له مكتبة المدرسة المحمدية، أو مكتبة المذاهب الأربعة [2].

ومع سيادة العلوم الدينية في العهد العثماني كان محتوى المكتبات كتب التفاسير والأحاديث الدينية والفقهية ،والأصول والتوحيد والعلوم اللغوية والعقلية [3]، ولقد نقص الإهتمام بالعلوم العقلية في العهد العثماني، ولقد لاحظ العلماء أنفسهم ضعف العناية بالحساب والفرائض، وأشاد بذلك العلماء الأجانب أيظا، فقد أخبرنا الدكتور شو، الذي عاش فترة طويلة في الجزائر، أن العلماء هناك كانوا لا يعرفون إلا قليلا من الحساب ...فالتجار كما لاحظ كانوا يحسبون بالأصابع [4].

**ب- الإنتاج العلمي المتداول في تلك الفترة :** إن حركة التأليف كانت حية ونشيطة خلال العهد العثماني، ولا نكاد نجد عالما إلا وله قائمة من المؤلفات، عبارة عن شروح وحواشي وتقاييد وتعاليق ورسائل وفهارس في علوم عدة، تتصدرها العلوم الشرعية، وأيضا في التأليف ذات الأجزاء [5]، وساهم الرحالة في رحلاتهم على إبراز بعض الكتب والتآليف المتداولة، ومن أشهر المؤلفين في هذه المرحلة، عبد الرحمن الأخضري، كما ذكره الزياني في رحلته بقوله :" سيدي عبد الرحمان الأخضري صاحب المنظومة في المنطق المسماة بالسلم المرونق، وله منظومة في السلوك تشابه المباحث الأصلية وله مقدمة من الفقه يتعاطاها أهل تلك البلاد "[6]، وكان من أبرز ما أنجبت الجزائر خلال هذا القرن ،ومن أخصبهم إنتاجا، ومن أوسعهم شهرة في ميدان التأليف.

---

[1] أبو راس الناصري، عجائب الأسفار، المصدر السابق، ص15.

[2] نفسه ، ص6.

[3] عمار عمورة، المرجع السابق، ص259.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2،المرجع السابق، ص402.

[5] أحمد مريوش،المرجع السابق، ص31.

[6] الزياني ،المصدر السابق، ص150.

وألف الفكون مجموعة من الكتب والكتيبات التي سماها تقاييد ورسائل، وموضوعاتها متعددة، فيها الإجتماعي مثل: منشور الهدايا، ومحدد السنان، وفيها اللغوي والنحوي مثل: فتح اللطيف، وشرح شواهد أبي يعلي، ومنها الأدبي مثل ديوانه وقصائده الأخرى[1].

فإذا عدنا إلى دراسة الإنتاج العلمي وجدنا منه كمية ضئيلة خلال العهد العثماني بالقياس مثلا إلى الإنتاج العلمي الذي عرفه القرن التاسع (15م)، ولولا بعض الأعمال التي كتبها عبد الرحمن الأخضري، وسحنون بن عثمان الونشريسي، وابن حمادوش، لخلا هذا العهد أو كاد من التأليف في العلوم الحسابية والفلكية ونحوها [2].

إهتم ابن حمادوش بعلوم الدين واللغة مثل مثقفي عصره، ولكنه شد عليهم بإهتمامه بعلوم العقل أو( علوم النصارى) كما أصبحت تدعى، مثل : الطب والفلك والفلسفة والهندسة والصيدلة[3]، وإشتهر بكتاب الطب الشعبي " كشف الرموز والأعشاب" [4].

## 3- صور التواصل الثقافي بين الرحالة والعلماء في الجزائر

تنوعت الرحلات بتنوع أغراضها وغاياتها، منها من كان غرضه الحج إلى البقاع المقدسة ومنها من كان لغرض تجاري أو إداري أو علمي، هذا الأخير الذي يعتبر هو الدافع الأول الذي دفع بمعظم الرحالة إلى التنقل في مختلف المراكز الثقافية التي إشتهرت بها الجزائر خلال فترة الحكم العثماني، وذلك بغرض الإحتكاك والتواصل الحضاري والتبادل المعرفي بين مختلف العلماء في الجزائر خلال هذا العهد، ولقد سعيت من خلال هذا العنصر إلى التعريف ببعض العلماء الذين جاء ذكرهم في كتب الرحالة، وإعتمدت على رحلتين لرصد أهم العلماء والشيوخ الذين إشتهرت بهم الجزائر خلال العهد العثماني .

---

[1] أبو القاسم سعد الله ،شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت،[د-ت]،ص145 .

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص404.

[3] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، المرجع السابق، ص172.

[4] عمار عمورة، المرجع السابق، ص260.

**أ-رحلة أبو راس الناصري "فتح الإله ومنته":** ألف أبو راس الناصري هذا الكتاب أواخر حياته، ويقدم لنا هذا الكتاب حياته بقلمه، كما أنه يسلط الضوء على بيئته الثقافية وقد قام محمد بن عبد الكريم بتحقيقها، وقسم المؤلف مادة كتابه في 05أبواب ،سوف أركز على الباب الثالث الذي تحدث فيه عن رحلته، وعنوانه: في رحلتي للمشرق والمغرب وغيرهما ولقاء العلماء والأعلام وما جرى لي معهم من المراجعة والكلام .

إن لهذا الكتاب قيمة علمية، إذ هو يكشف لنا معلومات هامة عن علماء هذا العصر[1]، وسنسعى من خلاله على التعرف أشهر علمائه، وذلك من خلال لقاءاته بهم والحوارات التي دارت بينهم، ونذكر من بينهم :

**محمد بن عبد الكريم الفكون:** من مواليد [988هـ/1580]، هو من عائلة الفكون وهي من أهم الأسر العلمية بمدينة قسنطينة، حضي بوظائف هامة كالإمامة والخطابة بالجامع الكبير للمدينة، وقد عرف عنه النبوغ في العلوم الظاهرة والباطنة، ومن أهم مؤلفاته:"منشور الهداية في كشف من إدعى العلم والولاية "[2].

وإستدل أبو راس للتعريف به، فذكر قول أحمد بابا علي عن محمد بن عبد الكريم الفكون:" هو تلميذ من إزدهى به الزمان وزان ..." كما إستشهد بقول المقري عنه :" عالم قسنطينة وصالحها وكبيرها ومفتيها، سلالة العلماء الجماهير ورث المجد كابرا عن كابرا الشيخ عبد الكريم الفكون"[3]، توفي عام [1073هـ/1662 م] [4].

---

[1] أبو راس الناصري، فتح الإله، المصدر السابق، ص- ص179-181.

[2] عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية ، تحقيق: أبو القاسم سعد الله ،ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت- لبنان ،1987، ص-ص7-16.

[3] أبو راس الناصري، فتح الإله، المصدر السابق، ص98.

[4] ابن الفكون ، المصدر السابق، ص8.

**أحمد بن عمار**: من مواليد [1119هـ/1707 م] بمدينة الجزائر، من الأسر العريقة التي توارثت منصب الإفتاء[1]، وأصبح مدرسا بالجامع الكبير، وهو من أهم العلماء الذين لقيهم أبو راس الناصري وقال فيه :" شيخنا العالم المشارك في أنواع العلوم، الدارك الواسع الرواية، الحسن الدراية، صاحب الرحلة[2] ، الجمة الفوائد حلوة الموائد، عذبة الموارد الجليل القدر...السيد أحمد بن عمار عالم الجزائر"[3]، أما عن أعماله فله مساهمة عظيمة في التأليف، فكتب في شتى المواضيع، وخالف معاصريه، فيما عرفوا به من تقليد في كتابة الحواشي والشروح، فألف" لواء النصر في فضلاء العصر " و"تاريخ الباي علي باشا بن حسن"[4]، توفي عام [1139هـ/1726م .

**أبو العباس محمد بن حسن الشريف**: هو من أبرز علماء الحديث، متمكن في الفن والمنطق والكلام وأدب المناظرة، كما قال عنه أبو راس :"...الأنبل الأقبل الوجيه واسع العلم، فصيح القلم، سريع الفهم...كثير الأوراد و التلاوة ..."[5].

تولى القضاء مرتين ...له عدة تقاييد على صحيح مسلم، وعدة مؤلفات أخرى، توفي في 2 جمادى الثانية [ 1251-1835م ] [6].

---

[1] ليلى غويتي ، المرجع السابق، ص47.

[2] صاحب الرحلة الموسومة ب " نحلة اللبيب بأخبار الحلة إلى الحبيب "ولقد عرف عند معاصريه بها، حتى أشتهر في وقته بصاحب الرحلة، أنظر: أبو راس الناصري، فتح الإله، المصدر السابق، ص92.

[3] نفسه، ص99.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص230.

[5] الحفناوي، المرجع السابق، ص 310.

[6] أبو راس الناصري، فتح الإله، المصدر السابق، ص21.

**الشيخ على بن الشيخ ابو عبد الله المغيلي**: الذي قال عنه أبو راس :" ...فجلست في حلقة العالم الكبير الفقيه، الشهير...الأنبل الأمثل ...ذي القراءة الصحيحة المؤسسة و الطلبة على بابه مقبلة ومعرضة ..."[1]، فكان من عائلة علمية معروفة، جده محمد بن عبد الكريم محمد المغيلي[2]، إشتهر بإتقان القراءات والتفسير[3].

## ب- رحلة الورثيلاني " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"

تعتبر رحلة الحسين الورثيلاني، مصدرا هاما لا يمكن لباحث التاريخ الحديث أن يستغني عن ما جاء في هذه الرحلة من فوائد إخبارية في مختلف الجوانب السياسية والإقتصادية والإجتماعية[4]، وتضم أكثر ثمان مئة صفحة من الحجم الكبير قام محمد بن شنب بطبعه ونشره دون تعليق[5].

ويصف الرحالة الورثيلاني رحلته فيراها أنها تجمع بين المستحسن والعجيب، إذ يقول :"أنشأت رحلة عظيمة يستعظمها البادي، ويستحسنها الشادي، فإنها تزهوا بمحاسنها عن كثير من كتب الأخبار ..."، وبدأت الرحلة حوالي سنة 1179هـ، ومن المحطات الرئيسية في الرحلة نذكر : بسكرة، الجزائر، طرابلس، ليبيا، مصر، مكة المكرمة [6].

---

[1] أبو راس الناصري، فتح الإله، نفس المصدر السابق، ص44.

[2] محمد بن عبد الكريم محمد المغيلي التلمساني التواتي، درس في تلمسان والجزائر على أشهر شيوخ تلك الفترة ،ثم هاجر من تلمسان إلى توات، كانت له أثار مهمة بالمنطقة، وله نشاط علمي واسع، توفي عام [909هـ/1504م] بتوات مخلفا مؤلفات عديدة أهمها :" البدر المنير في علوم التفسير " للمزيد حول هذه الشخصية أنظر : ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1986 ،ص253 ؛عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض، بيروت،1981، ص308.

[3] أبو راس الناصري، فتح الإله، المصدر السابق، ص49.

[4] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ،المرجع السابق، ص571.

[5] ليلى غويتي، المرجع السابق، ص 37.

[6] عبد الرحمان عزي، التواصل القيمي في الرحلة الورثلانية، دراسة تم إعدادها لمؤتمر جامعة فلادارفيا، الأردن ،2009، ص 02.

تعد لقاءات الحسين الورثيلاني مع علماء الجزائر ذات قيمة علمية هامة، وذلك لما رصدته لأهم أعلام الجزائر خلال العهد العثماني، ولقاءاته أسفرت عما يزيد عن مئة وتسعين عالما، وكانت معظم تعريفاته للعلماء في شكل قالب شعري ونثري، ولم يتطرق إلى التعريف الكامل لهم، ونذكر أهمهم :

**الشيخ أبو زكريا يحي الزواوي:** وقد كان من أهل القرن السادس الهجري، ولد في بني عيسى من قبائل زواوة، إرتحل إلى المشرق ولقي الفضلاء والأخيار من الفقهاء والمتصوفة، إستوطن ببجاية بعد عودته من المشرق، وجلس بها لنشر العلم ...وكان يجلس لعلوم الحديث وعلوم الفقه[1]، وله مجلسان في العلم مجلس في الحديث ومجلس في التفسير ، إلا أن التفسير كان يقرئه بعد صلاة الجمعة على المنبر لكثير الناس[2]، وفاته كانت يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رمضان المعظم من عام إحد عشر وتسعمائة وتوفي في هذا اليوم من غير مرض[3]، وقبره مشهور، كان كثير التردد إلى مساجد يتعبد فيها بنواحي بجاية [4].

**أحمد بن الشيخ العنابي** : هو ينتمي إلى أبرز الأسر العلمية التي عرفت بالعلم والصلاح، وكان عالما، له من المؤلفات العديدة منها: "عقائد الشيخ السنوسي الخمسة، نظم لمختصر الخليل، نظم في ياقوته وجوهره، كما أنه ألّف في أخبار العلماء السابقين وأوصافهم [5].

---

[1] أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق :محمد بن أبي شنب ،ط1، دار البصائر، الجزائر ،2007، ص61- 62.

[2] الورثيلاني، المصدر السابق ، ص ص23-24 .

[3] الغبريني ، المصدر السابق ، ص62.

[4] الورثيلاني، المصدر السابق ، ص ص 13-14.

[5] نفسه ، ص - ص291-293 .

**السيد محمد العربي:**الذي نعته بالشيخ الفقيه الفاضل النحوي اللغوي وبالمحدث المفسر والأديب الجامع بين المعقول والمنقول، ولقد أخذ الورثيلاني على أحد تلامذته الشيخ علي بن أحمد الألفية ،وهو من أصحاب الطريقة الشاذلية، أثنى عليه بمنظومة من سبعة أبيات مطلعها :

بحر الندى والعلم من شيخ برز شيخ الحقيقة لدينا مكتنز [1]

## 4-إنتشار الزوايا وشيوع ظاهرة الصوفية:

لقد اتسم العهد العثماني في الجزائر بانتشار الزوايا والتصوف، إنتشارا لم يشهد له مثيل من قبل، هذا لأنها وجدت الأرضية الخصبة التي ساعدتها على الإنتشار الواسع، والإستقطاب الكبير للأهالي، ذلك ماجعل العهد العثماني فعلا عهد الزوايا والأضرحة والتصوف، وشجعتهم في ذلك السلطة العثمانية وتعاطفت معهم [2]، وتعتبر الرحلات صورة صادقة لذلك، إذ نجد فيها حديثا عن الزوايا التي كثيرا ما تكون محطة من محطات الرحالين، في كل منطقة يصلون إليها[3]، وهذا ما سنتطرق إليه في دراستنا .

**أ-إنتشار الزوايا:** تعتبر الزوايا من أهم مميزات العصر العثماني بالجزائر، وكان من بين أهداف ومقاصد الزوايا في الجزائر العثمانية، تعليم وتثقيف الطبقة العامة المعوزة من أبناء المجتمع، وكانت الزوايا تعمل على تحفيظ القرآن[4]، وما يميز الزاوية الدينية أنها ملجأ ومأوى يلجا إليه الهاربون والمجرمون من القتل والعقاب مهما كانت جرائمهم [5].

وذكر ذلك وليام شالر في رحلته، أن أضرحة المرابطين تتخذ أماكن للعبادة، ويكون الخباة في مأمن عند إحتمائهم بأحد المساجد والأضرحة[6]، يذكر عبد الكريم الفكون، أن

---

[1] الورثيلاني ، نفس المصدر السابق ، ص 58.

[2] نصر الدين سعيدوني، النظام المالي ،المرجع السابق، ص46.

[3] الطاهر حسني، المرجع السابق، ص73.

[4] أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص47.

[5] أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام، المرجع السابق، ص271.

[6] وليام شالر ، المصدر السابق، ص38.

بقسنطينة مجموعة من الزوايا التي تعتز بها عائلاتها لأنها مجلبة للشهرة والعلم في الدنيا وسبيل الرضى والأجر في الآخرة، ومن العائلات التي كانت لها زوايا بإسمها عائلة الفكون وعائلة بن نعمون وعائلة إبن باديس ...إلخ، وكانت هذه الزوايا مقصد الطلبة للعلم والراحة والإقامة، كما كانت مقرا للعلماء الزائرين، إذ تحتوي على المبيت وقاعة للإستقبال ومكان الدرس والمكتبة ونحو ذلك من المرافق [1] .

لقد كانت كل مدينة كبيرة أو قرية صغيرة محروسة بولي من أولياء الله الصالحين فهو الذي يحميها من غارات العدو أو من نكبات الطبيعة ومن طمع الطامعين[2]، وكان قلب الورثيلاني متعلقا بزيارة الصلحاء، وأظهر في رحلته إهتمامه الشديد بزيارة الأضرحة والزوايا في عدة محطات من رحلته وذلك بقوله :" ثم إني لم أهمل الأموات وأني قصدت جميعهم في كل وطن مشية وكل بلد تنية إلا أن قسنطينة كل مسجد فيها من مساجد الصلاة إلا وفيه شيخ ولي صالح دفن في المسجد وينسب إليه ويقال مسجد فلان ،كسيدي أحمد بن عين الناس، وسيدي أبي عبد الله الشريف، وسيدي عبد المؤمن وسيدي الرماح وسيدي مفرج، وسيدي عمر الوزان، وغيرهم ممن لا يحصى عددا أفاض الله علينا من بركات جميعهم ومن علينا وعلى من ينتمي إلينا من الذرية والقرابة والجيران بالأنوار والشفاعة والعطف منهم" [3].

[1] نفسه.

[2] أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص47.

[3] الورثيلاني، المصدر السابق، ص800.

ويشيد في موضع آخر الرحالة العبدري في رحلته عن تلمسان أن بها مزارات كثيرة، ومن أعظمها وأشهرها قبر الصالح القدوة فرد زمانه أبو مدين[1] رضي الله عنه ورزقنا ببركته وعليه رباط مليح [2] .

**ب-انتشار الطرق صوفية**

إن الوضع الإجتماعي والثقافي إضافة إلى السلطة الروحية التي كانت تتمتع بها الزوايا في هذا العهد ،ساعد على إنتشار التصوف، وإتساع دائرته، وأصبح يمثل ظاهرة بارزة وعلامة مميزة لطبيعة الحياة الدينية والثقافية والأدبية في هذا العصر[3].

انتشر التصوف بين جميع أفراد المجتمع، سواء الأغنياء أو الفقراء المتعلمين أو الأميين الحكام أو المحكومين، وأصبح أغلب الجزائريين يعتقدون به، وهذا ما أبرزه الرحالة في كتاباتهم بالأخص الرحالة الورثيلاني فلقد خصص قسما كبيرا من رحلته لأخبار المتصوفة في الجزائر وغيرها، وذكر أبو القاسم في كتابه أن الورثيلاني تحدث عن الخرافات والغيبيات والكرامة المنسوبة إليهم، وتحدث عن شروط الساعة، وكتب بعض مذكراته عند قبر بعضهم تبركا بهم [4].

---

[1] أبو مدين :انه شعيب ابن حسين الأنصاري ،أصله من الأندلس، ولد باشبيلية [520 هـ]، ودرس بها وبمدينة فاس ، ثم حج إلى بيت الله، انتصب للتدريس ، ونفع الناس ببجاية، فإستقدمه الخليفة يعقوب المنصور إلى مراكش ، فسار إليها إلى أن توفي أثناء الطريق ، ونقل إلى قرية العباد ودفن بها سنة [ 584هـ ]، وتشمل هذه البناية البعيدة ثلاث أقسام :الضريح والمسجد والمدرسة ،أما الضريح فهو قبة متقنة النقوش بها قبر أبو مدين ،أنظر : ابن مريم ، المصدر السابق ، ص11.

[2] العبدري ،المصدر السابق ، ص7.

[3] نفسه، ص 16.

[4] للمزيد أنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص397.

ويذكر الورثيلاني في هذا الصدد : " قد دخلنا طولقة واجتمعنا بها أيضا مع أهل الفضل والعلم، وزرنا أيضا الشيخ المذكور، الولي الصالح سيدي عبد الرحمن الأخضري[1] بقريته المشهورة، فلما وصلت وجدته وكأنه حيا في قبره" [2].

ويتضح أن الورثيلاني يكن إحتراما شديدا، وأحيانا تقديسا، خاصة للأولياء لإعتقاده أن البركة حاصلة في زيارتهم وذويهم أحياءا أو أمواتا، ويرى أن دعواتهم مجابة وبركتهم تلمس الداني والقاضي، وذلك ما يلاحظ من خلال كثرة عبارة: " بأن يفيض على الجميع ببركاتهم[3]" في دعواته .

وشهد المجتمع الجزائري أوائل العهد العثماني حالة من الإنحلال الفكري وإنتشار العادات السيئة التي إلتصقت بالدين ...بحيث عشعش الفكر الخرافي حتى كاد المجتمع كله يصبح زاوية صوفية فيها الحضرة والرقص العصبي، والإيمان بالغيبيات والروحانيات[4]، ولعل موقف الرحالة الورثيلاني يتضح أكثر في معرض مروره بأحد الأولياء سيدي محمد بن علي بمنطقة سيدي عقبة، إذ يروي عن هذا الأخير من بعض الحجاج ممن رآها: " أنه قال لهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له أن النار لا تمس كل من رآك وزعموا أنه قال له ومن رأي من رآك "[5]، ويقول الورثيلاني أن الله أعلم بحقيقة ذلك.

---

[1] سيدي عبد الرحمان الأخضري: عاش في القرن العاشر الهجري ، كان عصره عصر انحطاط كما أشار هو في كتابه "السلم" ،وقد ذاعت شهرته في الأوساط العلمية ،ضريحه مشهور مزار في زاوية بنطينوس من قرى بسكرة ،أنظر : أبو عمران الشيخ وآخرون ، معجم مشاهير المغاربة ، فرقة البحث العلمي ،جامعة الجزائر ،1995،ص 31.

[2] الورثيلاني ، المصدر السابق، ص16 .

[3] نفسه، ص16.

[4] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص244.

[5] الورثيلاني، المصدر السابق، ص 118.

ويرى واجب العناية بكلام الأولياء فيقول في ذلك: " لا أن كلام أولياء الله لا ينبغي أن يرمي به جزافا فليحرص المرء جهده على لقائهم ورؤيتهم والتبرك بهم فعسى أن يصادف.. نفحة من نفحات الحق فيسعد بها دنيا وآخرة"[1].

وفي موضع آخر من الرحلة يشيد بأن كلامهم له وجوه وإحتمالات بقوله:" ومعنى ذلك فلا يركن إلى ظواهر ما يجري على ألسنتهم كل الركون...فان لكلامهم وجوه واحتمالات " [2].

وفي هذا الجو وفي عصر ساد فيه التصوف في كل شيء في الحياة تقريبا لا يمكن أن يكون إنتاج علمائه إلا مصبوغا بالزهد والموعظة والإلتزام بمبادئ المتصوفين والزهاد[3]، وشغلت الظاهرة الصوفية حيزا كبيرا من مؤلفات أشهر رجال هذا العهد ورحلاته مثل رحلة الورثيلاني:" نزهة الأنظار "، والمقري: " نفح الطيب " وعبد الرحمن الأخضري الذي نضم قصائد عديدة في التصوف أعظمها : " القدسية ".

ورغم سيطرة التصوف على علماء العصر فإن أبو راس الناصري لم يكن من المتصوفة، وكان في حياته العلمية والدنيوية شبيها بأحمد المقري كثير الحفظ والتأليف وكثير المدح للأمراء غير أن المقري كان أولى به أدبا[4] .

---

[1] الورثيلاني، نفس المصدر السابق ، ص119 .

[2] الورثيلاني، المصدر السابق، ص 119.

[3] ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج2، المرجع السابق، ص91.

[4] نفسه، ص101.

لقد كانت لسياسة العثمانيين الأثر الواضح في زيادة نمو الأضرحة والزوايا وشيوع الصوفية بالجزائر، لذا سعت لكسب ودهم أو على الأقل حيادهم، ولقد إنعكست هذه العلاقة على نمو الأضرحة بحيث أن وفاة المرابط أو الولي الصالح ترافقها بناء ضريح لتخليد ذكراه، ويصبح هذا الضريح مزارا، وما يؤكد هذه السياسة هو مساهمة الداي عبدي باشا[1] في صيانة ضريح عبد الرحمن الثعالبي سنة 1730[2] .

و هذا راجع لمنزلة الثعالبي في نفوس سكان مدينة الجزائر[3] ونفوس حكامها بدافع الورع والتقوى والتقرب إلى الله، أو سعيا للحصول على تأييد السكان المحليين[4].

[1] عبدي باشا حكم في الفترة مابين[ 1724–1732]، وفي عهده إحتل الإسبان مدينة وهران للمرة الثانية ، وبسبب ذلك إمتنع عن الأكل والشرب حتى توفي سنة 1732.

[2] عبد الرحمان الثعالبي : [ 875 هـ/ 1470 م] من أشهر علماء الجزائر، نسبة إلى الثعالبة بوطن الجزائر، وهي قبيلة شهيرة من العرب، وزار معظم أقطار المشرق ،ثم عاد الى مدينة الجزائر إستقر بها ،وأسس فيها زاوية معروفة ومسجد مشهور ، إشتغل بالتدريس والتأليف الى أن توفي ، ودفن بزاوية وقبره يزار الى يومنا هذا من أهم مؤلفاته : الجوهر الحسان في تفسير القرآن، أنظر:الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص ص8 – 9 .

[3] ياسين بودريعة ، أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ الجزائر الحديث، قسم التاريخ ،جامعة بن يوسف بن خدة ، الجزائر ،2006–2007، ص76.

[4] نصر الدين سعيدوني، النظام المالي ،المرجع السابق ، ص143.

# خاتمة

من خلال دراستي لموضوع "الأوضاع الإجتماعية والثقافية للجزائر خلال العهد العثماني من خلال كتب الرحالة " توصلت الى مجموعة من النتائج أهمها:

**أولا**– تعتبر الرحلة من المصادر البالغة الأهمية، بحيث إستطاع الرحالة من خلالها أن ينقلوا لنا صورة الحياة بجميع مكوناتها ومختلف مظاهرها، وهي مرآة عاكسة للحياة الإجتماعية والثقافية التي عاصرها الرحالة .

**ثانيا**– إتخذ مجتمع المدينة تركيبا هرميا، نجد في قمة هذا الهرم الطائفة التركية، ووجودهم أفضى إلى وجود فئات وافدة مثل اليهود ومسلمي الأندلس والأسرى المسيحيين، ساهم ذلك في تغيير بنية المجتمع، وتحسن ملحوظ فيما يتعلق بالخصائص الجسمية والأخلاقية معا .

**ثالثا**– كما أسفرت الدراسة على أن المجتمع الجزائري تميز بصفات ميزته عن غيره من المجتمعات، كالكرم والإحسان وحسن الضيافة، والتواصل فيها بينهم في مختلف المرافق الإجتماعية، هذا لا يمنع من وجود سلبيالت خلقت نوع من التفكك في المجتمع مثل إنتشار الزنا وآفة شرب الخمر .

**رابعا**– كانت الحياة الإجتماعية للسكان لها طابعها ومميزاتها الخاصة التي تجسدت في عاداتهم وتقاليدهم، وذلك من خلال حفلات الأعراس والحفلات الدينية ،وكانوا في تواصل دائم فيما بينهم في مختلف المرافق الإجتماعية كالحمامات والأسواق والمقاهي .

**خامسا**–وما يتضح لنا أن السكان في هذه الفترة ساهموا في تردي الأوضاع الصحية وذلك بتجاهلهم للقواعد الصحية وعدم إستشارتهم للأطباء بل كانوا يلجؤون إلى الطالب أو التداوي بالأعشاب، ومن أمثلة ذلك الرحالة ابن حمادوش والرحالة الزياني الذين تداووا بالأعشاب وذلك دون الدراية والمعرفة بفوائدها الطبية وأضرارها إلى جانب انعدام الصيدليات المتخصصة، والموجودة منها تفتقر إلى أدنى الشروط خاصة الأدوية، إلى جانب إنعدام أماكن العلاج التي كانت مخصصة لفئة معينة كالأسرى المسحيين والإنكشارية فقط، وليست

مخصصة لباقي السكان، وما زاد في سوء هذا الوضع موقف السلطة التي لم تتخذ التدابير اللازمة لتجنب دخول الأوبئة من الخارج، فكل هذه العوامل ساهمت في إنتشار الأوبئة الفتاكة بالبلاد وكان أخطرها وباء الطاعون الذي أودى بحياة الآلاف من السكان.

**سادسا**– أما من الناحية الثقافية فإن المؤسسات الدينية حاولت فرض وجودها على المجتمع من خلال ما تقدمه من مساعدات وتنظيمات للسكان، كما تميزت هذه المؤسسات بتنوعها من حيث فنها المعماري وعددها وكثرة مهامها ونشاطها التعليمي.

**سابعا**– ويتبين من خلال كتب الرحالة أن من أبرز المراكز العلمية في هذا العهد هي المساجد والزوايا والكتاتيب، مثل الجامع الأعظم ، والجامع الكبير، فضلآ عن نشاط الزوايا ومن مميزات المناهج التعليمية المنوه بها في كتب الرحالة هو الإهتمام بالعلوم المتداولة آنذاك من علوم شرعية وأدب وتواريخ محلية وتصوف، مع نقص العناية بالعلوم العقلية كالطب والحساب والفلك، وهو ما جعل الإنتاج العلمي في هذا العصر ضئيلا .

**ثامنا**– سيطرت الظاهرة الصوفية بأبرز صورة لها في هذا العهد، حيث تعددت الزوايا وإنتشرت في جميع أرجاء الوطن، وسيطرت الصوفية على عقول العامة من الناس وحتى الخاصة من العلماء والفقهاء والأدباء .

عموما لقد إستطاع الرحالة أن ينقلوا لنا صورة الوضع الإجتماعي والثقافي للجزائر خلال العهد العثماني بجميع مكوناته ومختلف مظاهره، وذلك بهدف رسم صورة عاكسة للوضع آنذاك .

# الملاحق

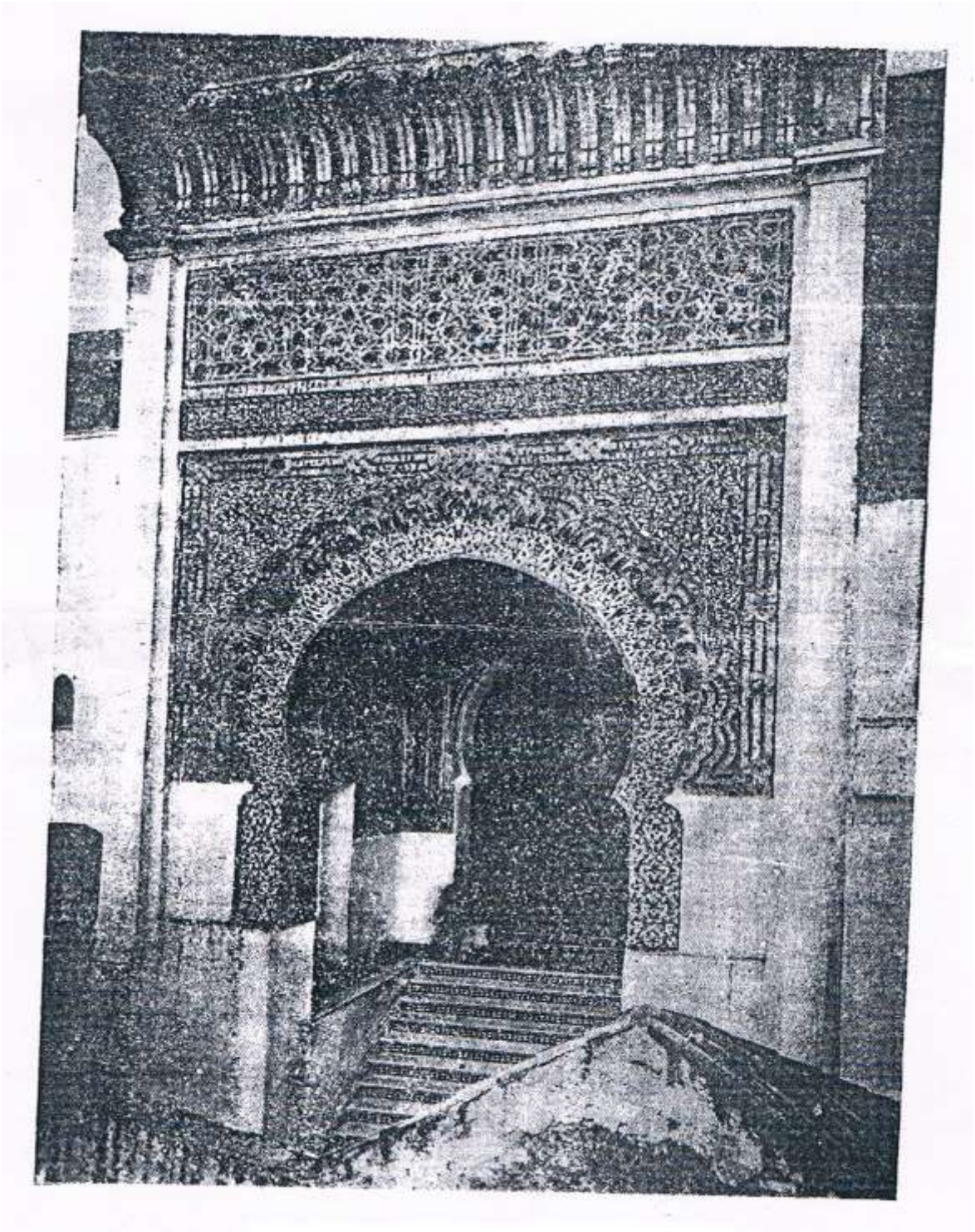

ملحق رقم: 01

مسجد سيدي ابي مدين بتلمسان[1]

[1] مولاي بالحميسي ، الجزائر من خلال الرحالة المغاربة في العهد العثماني ،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1981،ص 158.

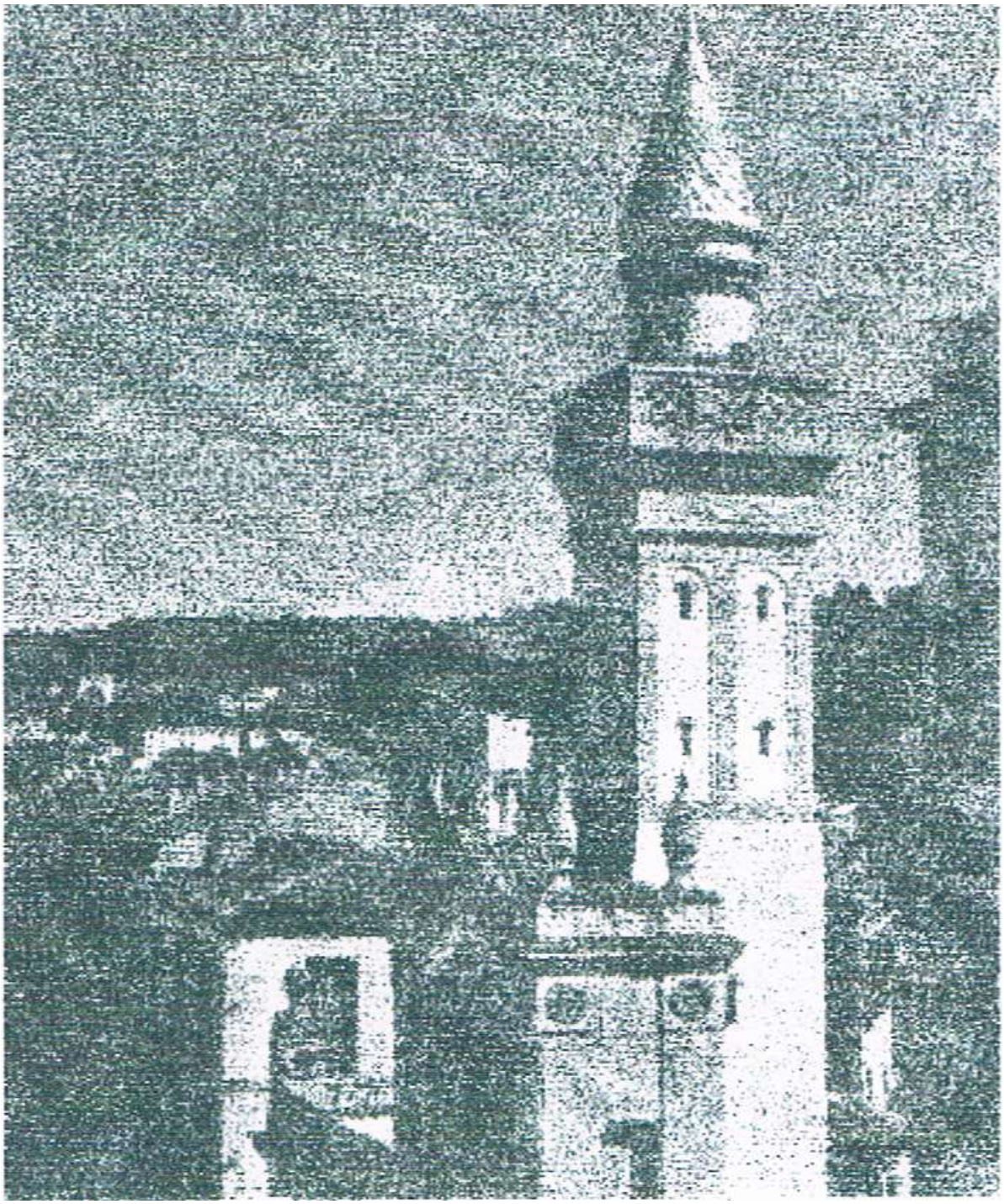

ملحق رقم :02

الجامع الكبير بالجزائر العاصمة[1]

[1]عبد الله حمادي، مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب،جامعة منتوري ،قسنطينة،2008/2007،ص 198.

ملحق رقم :03

نساء في زيارة لأقاربهن في مقبرة سيدي عبد الرحمان (لوحة للفنان ليون كوفي )[1]

[1] ارزقي شويتام ،مرجع سابق ،ص 156.

# قائمة المصادر
# و المراجع

## 1_ المصادر

### أ- المصادر العربية

القرآن الكريم برواية ورش .

2 – الأغواطي ابن الدين ،رحلة الأغواطي ابن الدين في شمال إفريقيا والسودان ودرعية ،ترجمة وتحقيق:أبو القاسم سعد الله ،دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ،الجزائر،2011.

3 – ابن حمادوش عبد الرزاق ، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال ،تحقيق :أبو القاسم سعد الله المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر ،1953 .

4- ابن خلدون عبد الرحمان ،كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني ، بيروت،1969.

5-ابن زاكور الفاسي ، نشر أزاهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتيطوان ، تحقيق : مصطفى ضيف محفوظ بوكراع ، تلمسان-الجزائر ،2011.

6 – ابن عمار أحمد، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، مطبعة فونتانة،الجزائر،1902 .

7- ابن مريم ،البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1986.

8 – بن هطال أحمد التلمساني ،رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري ،ط1 ،تحقيق: محمد بن عبد الكريم ، عالم الكتب ،القاهرة ، 1969.

9- التمقروتي علي بن محمد ،النفحة المسكية في السفارة التركية ،تقديم وتحقيق: عبد اللطيف الشاذلي ،المطبعة الملكية ،الرباط – المغرب ،2002.

10- خوجة حمدان بن عثمان ،المرآة،تقديم وتعريب وتحقيق :محمد العربي الزبيري،منشوراتENEP،الجزائر ،2006.

11- الزهار أحمد الشريف ، مذكرات أحمد شريف الزهار ، تحقيق: أحمد توفيق المدني، دار البصائر للنشر والتوزيع،الجزائر،2009.

12- الزياني أبو القاسم ،الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا ،ط2،تحقيق: عبد الكريم الفيلالي ، دار نشر المعرفة ،الرباط –المغرب ،[د-ت].

13- العبدري محمد البلنسي،الرحلة المغربية ، تقديم :سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات ،الجزائر ،2007.

14- العياشي ابو سالم عبد الله بن محمد ،الرحلة العياشية[1661-1663]،ط1،تحقيق وتقديم :سعيد الفاضلي وسليمان القرشي ،أبو ظبي - الإمارات ،2006.

15- الغبريني أبو العباس ،عنوان الدراية فيمن عرف العلماء في المائة السابعة ببجاية تحقيق :محمد بن أبي شنب ،ط1، دار البصائر ،الجزائر ،2007.

16- الفكون عبد الكريم ،منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية ،تحقيق:أبو القاسم سعد الله ،ط1،دار الغرب الإسلامي ،بيوت-لبنان ،1987.

17- المقري أحمد بن محمد ، رحلته في المشرق والمغرب،تحقيق:محمد بن معمر،مكتبة الرشاد،الجزائر،2004.

18- المقري أحمد بن محمد ،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ،ج6،تحقيق :يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ،بيروت 1998.

19- الناصري أبو راس محمد ،فتح الإله ومنته في التحدث في فضل ربي ونعمته ،تحقيق: محمد بن عبد الكريم الجزائري ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،[د.ت].

20- الناصري ابو راس محمد ، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار،ج1، دراسة وتحقيق :بوركبة محمد ،منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ،تلمسان – الجزائر،2011 .

21- الورثيلاني الحسين بن محمد ،الرحلة الورثيلانية–نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار –، ط1، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة – مصر ،2008 .

**ثالثا:المصادر الأجنبية المترجمة**

1- بفايفر سيمون ،مذكرات جزائرية عشية الاحتلال ،ط1، دار هومة للطباعة والنشر،الجزائر ،1998 .

2- شالر وليام ،مذكرات وليام شالر،قنصل أمريكا في الجزائر [1816-1824]، تعريب وتقديم: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 .

4- شلوصر فنديلن ،قسنطينة أيام أحمد باي [1832-1837]، ط2، ترجمة: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

5- شونبيرغ يورغن يوهان ألبريشت فون، الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال، ط1، ترجمة وتقديم :أبو العيد دودو، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005.

6- هابنسترايت ج.أو، رحلة العالم الألماني هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس [1145هـ/1732م] ، ترجمة وتقديم وتعليق : ناصر الدين سعيدوني ،دار الغرب الإسلامي ،تونس ،[د- ت].

**2 -المراجع**

1- بالحميسي مولاي ، الجزائر من خلال الرحالة المغاربة في العهد العثماني ،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،1981.

2- البوعبدلي المهدي ،التعريف بمدينة تلمسان وولايتها عبر التاريخ،ضمن كتاب" مآثر تلمسان وماضيها وحاضرها "-نخبة من الأساتذة والمؤرخين - جمع وتعليق :محمد بوزاوي،القافلة للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2011.

3- بوعزيز يحي ،الموجز في تاريخ الجزائر -جزائر حديثة - ، ج2،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1965.

4- بوعزيز يحي ،أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ،ج1 ،ط1،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1995.

5- آلتر عزيز سامح ،الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ،ط1،ترجمة :محمود علي عامر ،دار النهضة للطباعة والنشر ،بيروت - لبنان ،1989.

6- الحفناوي أبو القاسم محمد ، تعريف الخلف برجال السلف ،ج2، دار موفم للنشر،الجزائر، 1991.

7-حليمي عبد القادر ، مدينة الجزائر ، نشأتها وتطورها ،ط1، دار الفكر الإسلامي ،الجزائر ،1972.

8- دودو أبو العيد ،الجزائر في عيون الرحالة الألمان،ط1،دار الأمة للطباعة والنشر،الجزائر،2008 .

9- سعد الله ابو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي[1500- 1830] ج1،ج2 ،ط2،دار الغرب الإسلامي ،بيروت -لبنان ،2005 .

10- سعد الله ابو القاسم ،الطبيب الرحالة ابن حمادوش ،حياته وآثاره ،ط2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،لبنان ،2005.

11- سعد الله ابو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج1،ج2 ،دار البصائر للنشر والتوزيع ،الجزائر،2007.

12- سعد الله ابو القاسم ،شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، ط1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،[د- ت].

13- سعيدوني نصر الدين ،تاريخ الجزائر في العهد العثماني ،ط2،دار السلطان - أواخر العهد العثماني ، دار البصائر للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2012.

14- سعيدوني نصر الدين، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني [1792-1830]،ط2،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، 1985.

15- سعيدوني نصر الدين ، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر ، دار السلطان -أواخر العهد العثماني-، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ،2012.

16- سعيدوني نصر الدين، ورقات جزائرية - دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني - دار الغرب الإسلامي ،بيروت - لبنان ،2000.

17- سعيدوني ناصر الدين والبوعبدلي الشيخ المهدي ،الجزائر في التاريخ -العهد العثماني- ،ج4،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ،1984.

18- شاوش محمد بن رمضان ، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان،ج2، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،2011 .

19- عباد صالح ،الجزائر خلال الحكم التركي [1514-1830]،ط1،دار هومة للنشر والتوزيع ،الجزائر،2007 .

20- عمار عمورة ،الجزائر بوابة التاريخ -الجزائر عامة -،ج1، دار المعرفة ،الجزائر ،2009.

21- فركوس صالح ، المختصر في تاريخ الجزائر، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر ،[د-ت].

22- فيلالي عبد العزيز ، تلمسان في العهد الزياني(دراسة سياسية، جغرافية،إجتماعية، ثقافية)،ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر ،2002 .

23- قنديل فؤاد ،أدب الرحلة -في التراث العربي- ،ج2،ط2 ،الدار العربية للكتاب القاهرة - مصر،2002.

24- محي الدين أبو زكريا بن شرف النووي ، رياض الصالحين ،ترجمة: أحمد أبو زينة، المكتبة العصرية، بيروت -لبنان ،[د.ت ].

25- مريوش أحمد ،الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث ،الجزائر ،2007 .

26- الموافي ناصر عبد الرزاق ، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري ،دار النشر للجامعات المصرية ،مصر ،1995 .

27- نصار حسين ،أدب الرحلة ، ط1، مكتبة لبنان ،الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ،[د.م] ،1991.

28- هلايلي حنيفي ،أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر ،2009 .

**3- الدوريات**

**أ- المجلات**

1- أشرف صالح محمد السيد ،"المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العصر التركي" ،أماراباك ،العدد 20/13،[د-ت].

2- بوسعد الطيب ،"الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية الاسلامية وكتب الرحلات المغربية (واد ريغ أنموذجا) "،مجلة الواحات للبحوث والدراسات ،(غرداية –الجزائر ) ،المركز الجامعي غرداية ،العدد 2011/15.

3- بونار رابح ،"مدينة الجزائر –تاريخها –وحياتها الثقافية "،مجلة الأصالة ،العدد 2011/8.

4- بن جبور محمد ،"الوضع الصحي بالجزائر أواخر العهد العثماني " المجلة المغاربية للدراسات التاريخية ،قسم التاريخ –جامعة معسكر ،العدد2009/7.

**ب- المقالات**

1-عزي عبد الرحمان ،التواصل القيمي في الرحلة الورثيلانية ،دراسة تم إعدادها لمؤتمر جامعة فلادارفيا ،الأردن ، 2009.

**الرسائل الجامعية**

1- بالأعرج عبد الرحمان ،العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط ،جامعة أبو بكر بلقايد، سيدي بالعباس ،2008/2007.

2-بوترعة شهرزاد،الحضور المغاربي في الجزائر خلال العهد العثماني ،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المغاربي الحديث والمعاصر ،قسم التاريخ، جامعة المسيلة ،2015/2014.

3- بودريعة ياسين ،أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ،تخصص تاريخ الجزائر الحديث،قسم التاريخ ،جامعة بن يوسف بن خدة ،الجزائر ،2006-2007.

4- حسني الطاهر ،الرحلة الجزائرية في العهد العثماني ،أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في الأدب العربي ،جامعة ورقلة ،2014 .

5- حمادي عبد الله ، مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب،جامعة منتوري ،قسنطينة،2008/2007.

6- دغموش كاميلية ،قبائل الجزائر بين الإحتلال الإسباني والسلطة العثمانية [1509-1792]،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ،جامعة وهران ،2014 .

7- شويتام أرزقي ،المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني [1519-1830] رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة الجزائر ،2006.

8- غويتي ليلى ،التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ،جامعة الجزائر 2،الجزائر ،2011 .

9-معاشي جميلة ،الإنكشارية والمجتمع بباليك قسنطينة في نهاية العهد العثماني،رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث ،جامعة منتوري ، قسنطينة -الجزائر ،2008.

**المعاجم والقواميس**

1- البستاني بطرس ،محيط المحيط – قاموس مطول للغة العربية – مكتبة لبنان ، بيروت – لبنان ،1998.

2- نويهض عادل ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر،ط2، مؤسسة نويهض ، بيروت ،1981.

3- الحموي ياقوت ، معجم البلدان ،ج2، دار صادر ، بيروت – لبنان ،[د.ت].

4- الشيخ ابو عمران وآخرون ، معجم مشاهير المغاربة ،فرقة البحث العلمي ، جامعة الجزائر ،1995.

5- ابن المنظور ، لسان العرب ، مج5، ط4، بيروت – لبنان ،[د.ت].

**المصادر الأجنبية**

[1]HAEDO FRAY DIEGO, Histoir Des Rois d'ALger, T .R.A.H.D. grammont, alger ,adophejomdan, libraire –editeur ,1881 .

**المستندات الإلكترونية**

1- محمد مكحلي ،"الأوضاع الإجتماعية و الإقتصادية للجزائر خلال العهد العثماني [1707-1827] ،جامعة جيلالي اليابس ، سيدي بلعباس- الجزائر، [د. ت] .Httpm:www ,algeriatoday ,comform\showheard ,php ?t:6896

2- جورج مارسي/https://ar.wikipedia.org/wiki ."

# فهرس المحتويات

**فهرس المحتويات** **الصفحة**

شكر وتقدير

الإهداء

مقدمة:..... أ.ب.ج

**الفصل التمهيدي :لمحة عن الوضع الاجتماعي والثقافي في الجزائر قبيل الوجود العثماني.**

- 1- ماهية الرحلة ودوافعها في العهد العثماني..... 05
- 2-الوضع الاجتماعي والثقافي..... 09

**الفصل الأول :الحياة الاجتماعية في الجزائر العثمانية على ضوء كتب الرحالة.**

- 1- طبيعة التركيبة الاجتماعية للسكان..... 13
- 2- الصفات والسلوكيات المنتشرة في المجتمع الجزائري..... 18
- 3- الأعياد الدينية والولائم..... 22
- 4- الهياكل الصحية والوضع الصحي..... 26

**الفصل الثاني : الحياة الثقافية في الجزائر العثمانية على ضوء كتب الرحالة.**

- 1- وضع المؤسسات الثقافية في نظر الرحالة..... 31
- 2- العلوم المنتشرة والإنتاج العلمي في تلك الفترة..... 38
- 3- صور التواصل الثقافي بين الرحالة والعلماء الجزائر..... 42
- 4- انتشار الزوايا وشيوع ظاهرة الصوفية..... 47

**خاتمة** ..... 54

**الملاحق**..... 57

**قائمة المصادر والمراجع**..... 61

**فهرس المحتويات**..... 71

تم بحمد الله